8me Année No. 390

Lundi - 23 - 12 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

١٨٤١ كلمة صريحة إلى رجال الجامعة ورجال المعارف ... } لكاتب كبير ... ...

١٨٤٣ « فى صحراء ليبيا » لأحمد حسنين ... ... } الدكتور زكى مبارك ... ...

١٨٤٧ شخصية الأزهر العلمية ... : الدكتور محمد البهى ... ...

١٨٤٩ أومن بالانسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

١٨٥٢ جيل وجيل ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...

١٨٥٥ بريد الفراعنة ... ... : الأستاذ عبد اللطيف النشار

١٨٥٧ القدر والقصص ... ... : الأستاذ عبدالمجيد مصطفى خليل

١٨٥٩ ريف وروح ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...

١٨٦١ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...

١٨٦٢ ميعاد ليلة الأحد [قصيدة] : الأستاذ صالح جودت ...

ثورة ... ... « : الأستاذ أحمد فتحى مرسى ...

١٨٦٣ تشابه الفكرة عند الأدباء : الدكتور زكى مبارك ... ...

١٨٦٤ حول كتاب « المنتخبات » : الأستاذ إسماعيل مظهر ...

موسى... ... ... : الأستاذ محمد صابر ... ...

التماثيل الملوك ... ... : الأستاذ عبد اللطيف النشار

١٨٦٥ تأنيث الشمس وتذكير القمر : الأديب السيد جمعة ... ...

أسرة الشعر بدار العلوم العليا : . ...

١٨٦٦ عبء السلطة ... [قصة] : للروائى اليوغسلافى ميلان بوجليج

الى رجال الجامعة ورجال المعارف

كلمة صريحـــة

لـكاتب كبير

لقد هدأت الفورة التى ثارت فى صدور طلبة الجامعة المصرية بمناسبة تفكير الوزارة فى رفع درجات النجاح فى الامتحانات ، وهى فورة لم يكن لها موجب ، لأن من واجب الطلبة أن يروّضوا على المصاعب ، وأن يظهروا بمظهر التحدى الجرىء لمتاعب الدرس والتحصيل

ولـكن هنالك فورة منتظَرة ، فورة حميدة العواقب ، لأنها ستصدُر عن الأساتذة لا عن الطلاب ؛ وفورة الأساتذة لا تعرف مناضبة الشُّرطة ، ولا تفكر فى تحطيم المصابيح ، وإنما هى فورة يقع فيها التصادم بين الأفـكار والعقول

ولـكن متى يقع ذلك التصادم فنسمع أن فريقاً من الناس رجعوا إلى ضمائرهم فأدركوا أن لهم « فضلاً » فى زعزعة التعليم الابتدائى والثانوى ، وأنهم مسئولون عن المصير الذى لا نجاة من شره إلا برفع درجات النجاح فى جميع الامتحانات ؟

لو ملـكتُ حرية الخروج على الذوق لطوّقت رجال الجامعة ورجال المعارف بأطواق من حديد ، وكيف وأنا أخاطب أقواماً

توذيهم خطرات النسيم ، ويرون النصح وإن لطف — ضرباً من التمرّد والثورة على مقاماتهم العالية ؟

وأنا مع ذلك سأحاول تذكير تلك المقامات بما اجترحت في ميدان واحد هو ميدان اللغة العربية ، فأسأل في ترفّق وتلطّف :

من المسئول عن قصّ حواشى منهج اللغة العربية ، بحيث صار من المؤكد أن تلاميذ المدارس الابتدائية قبل عشر سنين كانوا يعرفون من القواعد أضعاف ما يعرف تلاميذ المدارس الثانوية في هذه الأيام ؟

ولأى غرض كثر التغيير والتبديل في ذلك المنهج ؟ وبأى حق جاز أن يظفر الشاب بإجازة الدراسة الثانوية ، وهو لا يملك القدرة على تشريح فقرة واحدة من الجهات النحوية والصرفية والبلاغية ؟ ولأية غاية تدرس اللغة العربية في المدارس إذا كان من حق كل تلميذ أن يجهل من قواعد اللغة ما يشاء ؟

ثم قيل : إن كلية الآداب أطالت التأسف والتحسّر على مصاير التعليم الثانوى ، وإنها فرضت على وزارة المعارف أن تكف يدها عن ذلك التعليم لتطبّ له بالأساليب الجامعية فتصيّره غاية في القوة والعافية

فماذا صنعت كلية الآداب وقد زعمت أنها تقدر على ما لا تقدر عليه وزارة المعارف من إحياء الموتى وهى رميم ؟

أشارت بالاستغناء عن الواجبات التحريرية في النحو والصرف والبلاغة لتنقلب الدروس إلى محاضرات (!) وأشارت أيضاً بأن يُترك الدرسون لضمائرهم فيما يأخذون وما يدعون (!) ولم يبق إلا أن تشير بحرية المواظبة لتتمّ « النعمة الجامعية » على أولئك التلاميذ !

فإن قيل : وأين وزارة المعارف ؟ فأنا أجيب بأن وزارة المعارف موجودة بالفعل ، وإلا فمن الذى يوزع المنشورات التى تصدُر عن كلية الآداب « وتوزيع المنشورات يحتاج إلى رجال ! »

وهنا أذكر شيئاً من التناقض المزعج ، أذكر أن كلية الآداب قد توفّق إلى خاطر طريف يحبّب التلاميذ في اللغة العربية ، كالذى اتفق في « مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية » ولكنها تترك تحقيق مثل هذا المشروع لمراقبة الامتحانات بوزارة المعارف . ومراقب الامتحانات لم يكلف نفسه دعوة نظار المدارس والمدرسين الأوائل للنظر في توجيه الطلبة إلى هذه المسابقة الطريفة ؛ فكانت النتيجة أن اكتفت كل مدرسة باختيار بعض الطلبة المسابقة في الأدب ، كما تختار بعضهم المباراة في الألعاب !

إن كان مشروع المسابقة من ابتكار وزارة المعارف فكيف تتركه لرجل بعيد من الحياة الأدبية ؟ وإن كان مشروع المسابقة من ابتكار كلية الآداب فكيف تتركه لمراقب الامتحانات بوزارة المعارف ؟

أين المسئولية في هذا الشأن الدقيق ؟ ومن الذى يتحمل وزرها الثقيل ؟

أشهد أن سيطرة كلية الآداب على السنة التوجيهية حقٌّ في حق ، فقد أرّق كاتب جفونها في الأعوام الماضية لاختيارها كتاب « نقد النثر » وكانت حجته أنه لا يصلح للمطالعة بحال من الأحوال ، وقد استجابت الكلية لندائه فسحبت ذلك الكتاب ، ولكنها مع ذلك كلفت وزارة المعارف أن تذيع منشوراً يقول : إن كتاب « نقد النثر » مرجع لأكثر النصوص المقررة في السنة التوجيهية !!

فهل سمع أحدٌ قبل اليوم أن كتاب قدامة في نقد النثر من مراجع النصوص الأدبية ؟

ليتنى أعرف إلى مَن أوجّه القول ! فوزارة المعارف مُدغمة في كلية الآداب ، ولن يُفَكّ هذا الإدغام إلا يوم يُعرَف أن المسئولية لا تتضح إلا بتحديد جهات الاختصاص

أما بعد فهذا نذيرٌ من النُّذُر الأولى ، فإن ظن قومٌ أن مصير اللغة العربيـة موكول إلى أذهانهم « الثواقب » فسيندمون بعد حين ، لأنّ النقد الأدبى لن يترك أهواءهم بلا تجريح ، وإن اعتصموا بأمنع الحصون

لن يكون مصير الجيل الجديد تحت رحمة الأهواء ، أهواء الداعين إلى « تيسير النحو » والقائلين بأن اللغة العربية لغة عصر ذهب وباد

مصير الجيل الجديد في اللغة العربية لن يصوغه غير أهل الغيرة الصحيحة على لغة القرآن . . « أديب »

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

« في صحراء ليبيا »
لأحمد حسنين
للدكتور زكي مبارك

— ٧ —

بسم الله الرحمن الرحيم

كذلك هتفتُ وأنا أهمّ بكتابة مقال عن هذا الكتاب ، لأنه صعب المنال ، ولأن المقدمة التي حبَّرها لطفي باشا السيد لم ترشدني إلى طريق تقديمه إلى القراء ، وأنا أرجو أن تنفعني بركة « البسملة » فأسجل بعض ما سنح من الخواطر عند قراءته السريعة ، وهي جهد المقل في ثلاث سهرات

الرحلة

هي رحلةٌ قام بها حضرة صاحب المعالي أحمد محمد حسنين باشا سنة ١٩٢٣ من السلوم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، إلى الأُبيّض عاصمة مديرية كردفان بالسودان ، وهي مسافة قدرُها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر قُطعتْ على ظهور الإبل ، وفيها وُفّق الرحالة إلى كشف واحتين مجهولتين هما « أركنو » و « العوينات » ، وكانتا غير معروفتين قبل ذلك للجغرافيين .

وقد سُطّر تاريخ هذه الرحلة في نحو أربعمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وهي مقسمة إلى جزأين ، وفيها كثير من الرسوم العلمية والجغرافية

شخصية المؤلف

هو رجل لم تلده ولّادة ، كما يعبّر أهل مصر حين يصفون فتًى من النجباء . وقد حدثنا هذا الفتى عن أهله ، فلم نعرف إلا أن أباه كان من علماء الأزهر الشريف ، وقد تلطّف لطفي باشا السيد فحدثنا أن جد المؤلف كان من الباشوات ، ولم يذكر بأية صفة نال ذلك الجد رتبة الباشوية ، وأغلب الظن أنها الباشوية التي كانت تمنح لرجال الجيش ، فإن لم تكن كذلك فهي باشوية لم تقض على وارثي جاهها الفخم بمحنة الترف واللين ، وإنما أورثت حفيدها القدرة على أن يقول : إن أهله كانوا من ساكني البادية ؛ وعلى أن يقول : نحن أهلَ الصحراء ، لا يغنينا النوم عن العشاء

وقد كان أحمد حسنين في كل أدوار ماضيه من نماذج الفتوّة واللوذعية ، عاش في انجلترا حيناً فكان صورة للفتى الموسوم بالبراعة والشهامة والصدق والجاذبية ، ولم يمنعه تحضّره من الاتصال بالبادية ، فاعتُمد عليه أيام الحرب الماضية في السفر إلى الصحراء الغربية للاتفاق مع زعمائها على رعاية واجب الجوار في احترام الحدود

ثم طوحت به همته إلى اختراق تلك الصحراء ليكشف واحتين كان لهما في أذهان أهل البوادي خيال ، ولم يكشفهما أحد من قبل ، فكان التوفيق من حلفائه الأوفياء

ثم أراد أن يكون طياراً ، ولكن الحوادث أرادت غير ما يريد ، فقد طار من انجلترا إلى إيطاليا ، ثم سقطت طيارته ، فأصلحها وطار ، ثم سقطت فأصلحها وطار ، وقد صمم على أن يدخل مصر طائراً ولو سقط بطيارته في جوف المحيط ، ولكن برقية كريمة صدرت إليه بوحي من الملك فؤاد ، فقهرته الطاعة على أن يدخل مصر وقد امتطى الماء ، لا الهواء ، وتلك أعظم محنة عاناها ذلك العربي الصوال.

الإنسان الكامل

وما أريد الإنسان الكامل في اصطلاح الصوفية ، وإنما أريد القول بأن أحمد حسنين كان رجلاً كامل الرجولة حين اخترق الصحراء في سنة ١٩٢٣ ، والرجولة التي أعنيها هي الرجولة البرأة من شوائب الضعف والغفلة والقنوط . كان أحمد حسنين في ذلك العهد رجلاً بكل معنى الكلمة : كان بدويًّا في مواطن البداوة ، وحضريًّا في معاهد الحضارة . كان حليماً في أوقات الحلم ، وجاهلاً في أوقات الجهل ؛ فكان له في كل حالة لَبوس ، وكان في جميع أحواله صورة من الرجل الذي يرى الخلُق الصحيح في رياضة النفس على مسايرة ظرف المكان والزمان

ومن المؤكد أن رحلة الصحراء نفعته في مركزه الحاضر ، وهو رياسة الديوان بقصر جلالة الملك ، فقد وصفته مجلة

« آخر ساعة » وصفاً هو أعجب الأوصاف ، حين قالت : إن أحمد حسنين يتمتع بأعظم المواهب السياسية ، لأنه أقنع الجميع بأنه رجل غير سياسي[1]

وأعود إلى تأثير الصحراء في عقل أحمد حسنين فأقول :

عاش هذا الرجل نحو ثمانية أشهر في ظلال المخاوف والحتوف ، وكانت الرِّيب تحيط به من كل صوب ، وكانت الثعابين تداعبه من حين إلى حين ، وكان يُؤْثِر سُرَى الليل ليتجه بصره إلى ناحية واحدة ، ومن هنا عرف أن الظلمة قد تنفع (والسياسي يعيش في عوالم من الظلمات ، ولو سطع النور حول أغراض السياسي لتخاذل وضاع) .

الرحالة :

لا يدلنا كتاب أحمد حسنين على أنه كان رجلاً من المُترفين حين قام بتلك الرحلة العاتية ، وإنما يشهد كتابه بأنه كان رجلاً من صميم البادية . كان رجلاً يهمه أن يقيم البراهين على أنه لم يتعلم في جامعة أكسفورد غير حزم الأمتعة ، والتعرف إلى مواطن الخوف والرجاء في مفاوز الصحراء

هو فلاح متحضر ، فهو لذلك أذكى الرجال وأعقل الرجال

وقد عرف هذا الفلاح المتحضر ما في البادية من مكر ودهاء ، فهو يلبس حُلة ذكائه في كل وقت ، ويشتمل بثوب مكره في كل حين

وما ظنكم برجل تحيط به الشكوك من جميع الجوانب وهو فريد وحيد ثم ينتصر بلا مشقة ولا عناء ؟

ذلك هو أحمد حسنين الذي ائتمنه الملك فؤاد واصطفاه الملك فاروق ، ومن الصعب جداً أن يكون الرجل أهلاً لثقة الملوك ، فذلك مقام لا يظفر به إلا الأقلون من أعاظم الرجال

وقد فَطِن أسلافنا إلى أن صحبة الملوك تحتاج إلى تثقيف خاص ، فوضعوا المؤلفات الطوال في التعريف بما يجب أن يتحلى به أمناء الملوك من شمائل وآداب . وهذا الفن من التأليف لم يكثر إلا في العصور التي ازدهرت فيها الحضارة العربية والإسلامية ، وإنما كان ذلك لأن ازدهار الحضارة يزيد في مشكلات المجتمع من النواحي الذوقية والاجتماعية ، وتلك حال تزيد فيها نسبة من يتصلون بالملوك ، لأنهم عندئذ يكونون صلة الوصل بين الحاكمين والمحكومين ، وعلى ذكائهم وبراعتهم وإخلاصهم يرجع الفضل في حل أكثر المعضلات ... فمن خَطَل الرأي أن يظن بعض المتعاقلين أن إكثار أسلافنا من التأليف في هذه الشؤون دليل على أنهم كانوا يعيشون في عصور الاستبداد

أغراض المؤلف

للمؤلف في ظاهر الأمر غرض واحد : هو تسجيل رحلته في الصحراء ، ولكن من الذي يقف به القلم عند ما كان يريد ؟ إن النفس تتفتح عند حمل القلم من وقت إلى وقت ، وتتنادى خواطرها من فصل إلى فصل ، فإذا بلغ القلم نهاية الشوط كانت النسبة بين ما ابتدأ به وما انتهى إليه كالنسبة بين النواة الضامرة والسَّرحة اللفَّاء

يقع كتاب أحمد حسنين في عشرين فصلاً ، وله في كل فصل مجالٌ خاص ، وفقاً لاختلاف الأغراض

فالفصل الأول عن الصحراء من نواحيها المادية والروحية ، وفي هذا الفصل كلام يقوله كل الناس ، إلا كلامه من الشوق إلى ما في الصحراء من متاعب وصعاب ، ولا تظهر قيمة هذه النزعة لمن يقرأها في الفصل الأول إلا حين يمانى وقدها في الفصل الأخير ، ذلك بأنها تواجهه أول مرة وهي أشبه بالفلسفة الروحية ، والناس قد يقرأون الفلسفة هادئين ، ولكن هذه النزعة لا تواجه القارئ في الفصل الأخير إلا بعد أن يكون شارك المؤلف في الأنس بالصحراء ، وعندئذ يحق له أن يتوجع لبلواه حين يقول وقد وصل إلى دار الأمان :

« ودب في نفوسنا جميعاً دبيب الابتهاج بعودتنا إلى الاتصال بحياة الحركة ، ولكني شعرت حين انقلبت إلى فراشي بوخزة حزن في قلبي ، لأن ذلك اليوم كان آخر أيامي في الصحراء ، ورأيتني أضيف إلى صلوات شكري دعاء خالصاً أسأل الله فيه أن يقدر لي العودة إليها يوماً من الأيام »

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف عن وضع خطة الرحلة فيقول كلاماً يقوله سائر الناس ، ولكنه يفاجئك بكلام نفيس عما سمع أبوه رحمه الله ، وهو يزوِّده بالبخور والدعوات الصالحات

(١) السياسة في الأصل رياضة الخيل ، مشتقة من ساس بالعبرية وهو الفرس .

ومن كلامه عرفت أشياء من عادات العرب فى التأهب للرحيل

وقد أطنب المؤلف فى الثناء على أبيه ، ثم أعرب عن جزيعته لوفاته بعبارات لا تصدُر إلا عن نجباء الأبناء ، وما مات من خلَّف مثل أحمد حسنين

وفى الفصل الثالث يقف المؤلف موقف المعلم لمن يحاولون اختراق الصحراء ، فيقدم من المعارف الضرورية للمغامرين أشياء يحتاجون إليها أشد الاحتياج

وفى الفصل الرابع تظهر طلائع المخاوف ، ونرى كيف يضطر الرحالة إلى تغيير خطة السير لينجو من مكايد الأعراب

وفى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن السنوسيين بكلام ينهض على قواعد علمية ، فيذكر تاريخهم بإيجاز ، ويشرح عقائدهم بالتفصيل ، ومن الواجب أن يدرس الطلبة هذا الفصل ، لأنه من عيون الكتاب ، ولأن موضوعه يهم أعضاء لجنة الامتحان

« وهنا أذكِّر الطلبة بأن الامتحان له قواعد ، ومن أهمّ قواعده أن تَرِد أسئلة فى الموضوعات الرئيسية ، فمن واجب كل طالب أن يُعنَى عناية شديدة بالموضوعات التى لا يجوز جهلها على الإطلاق ، فإن التمكن فى تلك الموضوعات يغفر الضعف فى الموضوعات الفرعية بعض الغفران ... وأذكِّرهم أيضاً بأن هناك شؤوناً تظهر كالتوافه ، ولكنها رئيسية ، كوجه التسمية لواحة أركنو ، فهى مسألة هينة ، ولكن الجهل بها يدل على عدم الاكتراث ... ثم أذكرهم بأن الطالب الذى يُختَبر فى كتاب أحمد حسنين سيسأل حتماً عما قال المؤلف فى وصف الواحتين الجديدتين ... وأذكِّرهم كذلك بأن فى المقدمة التى كتبها لطفى باشا كلمة مهمة عن ارتياد تلك الصحراء فى عهد الفراعين »

وفى الفصل السادس يتكلم المؤلف عن واحة جغبوب ، وهى واحة مصرية نهبها الطليان منذ سنين ، فليقرأ الطلبة أخبارها ، وليذكروا أن لهم إليها عودة بعد حين

وفى الفصل السابع يتحدث الرحالة عن الولائم والأدوية ، فيذكر أشياء تنفع من يفكر فى ارتياد تلك البقاع

وفى الفصل الثامن يتكلم عن الزوابع فى طريق جالو ، ويصفها وصف العارف الخبير ، والبدو هنالك يرون الزوابع من عمل الجن ، فليذكر الطلبة أن الزوبعة هى الجنّية فى لغة العرب ، ولها اسم بهذا المعنى عند عوام المصريين ، فهم يرون الزوبعة من الأنفاس الخلفية للعفريت

وفى الفصل التاسع يفصل القول عن واحة جالو ، ويذكر ما بينها وبين الطليان من نزاع وشقاق

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

لا أرى من الضرورى أن أشير إلى بقية الفصول ، لأن هذه الإشارات العوابر لا تغنى عن المراجعة والاستقصاء

وإنما أرى من الحتم أن أوجه الطلبة إلى درس هذا الكتاب ، ولا يتم ذلك إلا بدعوتهم إلى تعقب ملاحظات المؤلف ، وتعرُّف ما كان يجول بنفسه من خواطر وشجون

وأقول إن المؤلف مولع بوصف الأجسام فلا يرى شخصاً إلا حدثنا عن قوامه وعينيه ، فما سر ذلك ؟

يرجع السرّ إلى أن المؤلف عاش دهره موصول الأواصر بالأندية الرياضية ، ومن هنا غُرست فى نفسه بذور الثقافة الجسمية ، فهو ينظر إلى الأجسام قبل أن ينظر إلى العقول ، وهى نظرة تدل على أنه رجل سليم Normal ويؤكد هذا المعنى غرام الرجل بالإبل والخيل ، فهو جمّال إن أردت ، وفارس إن شئت ، وهو فوق هذا وذاك يحسّ مذاق الظل ، وقد يتذوق طعم الغُبار فى بعض الأحايين

يمرّ أحمد حسنين بعظام رجل ميت فيستأنس ، وكان الظن أن يستوحش ، وإنما استأنس برؤية عظام الميت لأنها تشهد بأنه يسير فى طريق سلكها الناس من قبل

ويهتم أحمد حسنين بدرس عادات البدو دراسة مضمّخة بعَبير الشوق والحنين ، وهو يرد تلك العادات إلى أصولها من العواطف الدائبة ، فالفتاة التى يحرق حِذاءها البارود تُزكى وتختال ، لأن ذلك شاهد على أنها تَغُلّ ألباب الرجال

وفى هذه المرحلة يصرخ أحمد حسنين صرخات تنطق بأنه من أصحاب الأذواق

وهذا الرجل المفتون بالبادية هو أيضاً مفتونٌ بالحاضرة أعنف الفتون ، فلا بطيل المكث إلا فى المواطن التى يكثُر فيها اشتباك العواطف والأهواء

وهنا أظفر بأحد مقاتله فأصرح بأنه لم يعش طويلاً فى الواحتين

الجديدتين — وهما محصوله الأصيل فى تاريخ الاستكشاف — وإنما عَبَرها عُبور الطيف ؛ لأنهما خاليتان من مواسم العيون والقلوب

وما عددت هـذا من مقاتله إلا رياء ، فالجمال الحقيقى هو الجمال الإنسانى ، لأنه يفهم عنا ما نريد ؛ أما جمال الطبيعة فهو جمالٌ غبيٌّ بليد ، ولا يكتفى بالأنس به إلا المتحنون بالحرمان ، وما كان أحمد حسنين من المحرومين

أحمد حسنين يتفاءل فى فرستين : الأولى أن يَرِىَ ظبياً فيصميه ، والثانية أن يرى فى صبيحة السفر وجهاً جذاب الملامح وضّاح الجبين

فمن يكون الرجل السليم إن لم يكن هـذا الرجل نموذجاً للرجل السليم ؟

ثم يجب النص على اهتمام أحمد حسنين بأداء الصلوات ، والتبرك بالأذان ، فتلك شواهد على ما صرح به غير مرة من أن الصحراء تزيد فى قوة الإيمان ، وهو التصريح الذي أتاح لمعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك أن يقترح إرسال علماء الأزهر إلى الصحراء !! والنكتة الدقيقة من أبرز عناصر الفن الرَّفيع

الأسلوب

أحمد حسنين ليس من أصحاب الأساليب ، فليس له فى الإنشاء مذهبٌ خاص ، وهو فيما نعلم لم يفكر فى أن يكون له مكان بين الكتّاب ، وإن كان من أكابر الأدباء

وقد أنشأ كتابه أول مرة بالإنجليزية ، ثم ترجمه إلى العربية وهذا يفسّر ما نشهد من تفاوت الأسلوب من حين إلى حين .

ولـكن الـكتاب مع هـذا على أعظم جانب من الحيوية ، فما سرّ ذلك ؟

يرجع السر إلى قوة إحساس المؤلف ، فـكل سطر من كتابه ينطق بأنه يَعنِى ما يقول ، وسياق الحديث يدل فى كل صفحة على أن الرجل جابَ الصحراء وهو مرهف الحِسّ ذكىّ الجَنان ، وملاحظاته فِطريّة بعيدة من التكلف ، فهو يُشعِرك بأنه بدويٌّ لا يرى غير ما فى البادية من مخاوف وآمال ، وهو ينقلك إلى تلك المجاهيل بقوة سحرية فتسايره بتلهف وتشوق ، كأنك عانيت من صابها ما عانَى وذقت من رحيقها ما ذاق

وإحساس أحمد حسنين يصل به إلى تذوق جميع الألوان ، هو إحساس رجل سليم يرى ويسمع ويذوق بقوة وعنف ، وكأنه طفلٌ يطّلع أول مرة على غرائب الوجود

تقدَّم إليه المائدة وهو فى البادية فيُقبل عليها إقبال البدوى الغرثان ، وينص على أنه أكل بشهية ، ثم يصف ألوان الطعام بإسهاب ، وذلك لا يقع إلا من رجل مدَّرع بالعافية

ويدرس الوجوه باهتمام شديد ، حتى جاز أن يحكم لفتاة بالجمال ، ولم ترها عيناه ، لأنه لاحظَ أن أخاها جميل

ويدرس عواطف أصحابه بمهارة وحذق فيعرف ما يطوون فى صدورهم من لواعج وأشجان ، ثم يمضى فيتعقب ما بينهم وبين نسائهم من كدر أو صفاء ، وهذا التطلع لا يقع إلا من رجل متشوف إلى درس الغرائز والطباع

وهل ننسى حديث « السبحة » فى ساعة أُنْس ؟

كان فى القافلة فتًى رخيم الصوت ، وكان أحمد حسنين يتشهى السماع ، ولـكن الفتى له عمٌّ كهل ، ومن العيب فى البادية أن يتغنى الشباب بحضرة الـكهول

وتلطف أحمد حسنين فاستأذن للفتى من عمه الـكهل ، فانطلقَ الشاب يغنّى ، واندفع الشيخ يسبّح ، ليشغل نفسه بالتسبيح عن الغناء

فماذا صنع أحمد حسنين ؟

أخذ يرصد السبحة ليرى كيف يتواتر خفق الحبات ، فعرف أن حباتها تصاب بالبطء من لحظة إلى لحظة ثم تعود إلى الإسراع ، وكان ذلك شاهداً على أن الـكهل الوقور كانت له صَبَوات ، وأن رنين السبحة لم يُلهه عن تشوف المحبين إلى أوقات الوصال

وأحمد حسنين لا ينسى تسجيل ما مرّ به من عواطف ، كأن ينص على أنه استيقظ فى أعقاب حُلم رائع على وجه فتاة حسناء ، وكأن ينص على أنه كان يتلبّث فى بعض المواطن ليزوّد قلبه وعينيه بأطايب الجمال

وجملة القول أن أحمد حسنين شاعرٌ وصّاف : هو يحدّق فى كل شىء ، وهو يصف كل ما يراه وصفاً يشهد بأنه مفطور على قوة الإحساس

شخصية الأزهر العلمية

للدكتور محمد البهى

لا أودّ هنا أن أحدد الشخصية القانونية للأزهر فذلك محله عند ما يتعرض لعلاقة الأزهر بغيره لتسهيل الفصل فى أموره الخاصة كمؤسسة عامة ، وإنما أقصد بيان العناصر التى تتكون منها شخصيته « كجامعة علمية » ، وفى الوقت نفسه هى عدته التى ينزل بها ميدان الحياة ليحافظ بها على وجوده الخاص بهذا الوصف

قد يكون عطف الوالى على رجاله ورعايته له من أسباب قوته فى وقت من الأوقات ، وقد تكون شخصية شيخه إذا علت مكانتها وكانت محببة لدى كثير من نفوس الخاصة من أسباب قوته أيضاً فى وقت من الأوقات كذلك ، وقد يكون لنفر من علمائه إذا منحه الشعب نوعاً خاصاً من الإجلال والاحترام أثر فى قوة الأزهر أيضاً

ولكن هذه الأسباب خارجة عن شخصيته كمعهد للبحث والدرس العلمى وإن كانت من مقومات شخصيته الدينية لأن عطف الوالى مثلاً على رجاله لما لهم من الصفة الدينية ، والاحترام الذى يمنحه الشعب لبعض علمائه لا شك أن القسط الأكبر منه راجع إلى معنى دينى فيه ، وسيبقى عطف الوالى عليه ما دام ممهداً للدين ، وسيبقى احترام الشعب لبعض دائر بين علمائه ما داموا ينتسبون للدين ، إذ الوالى فى بسط سلطانه النفسى على الشعب فى حاجة إلى رجال الدين ، والشعب أيضاً ما دام يعتقد بمنح احترامه للمشرف على شئون العقيدة ، واعتقاد الشعب باق ما دام هناك شعب ، فالأزهر من هذه الناحية لا يضمن وجوده الذاتى فحسب، ولكنه وجود عنيف فى قوته يتلاشى عند الاصطدام به أى شىء آخر

ولست أعنى أيضاً هذه الشخصية، إذ أن للأزهر وصفاً آخر وهو كما أنه معهد دينى هو معهد علمى ، فله بجانب الشخصية الدينية شخصية أخرى علمية ، وهذه الشخصية الأخيرة يكونها أفراد ولكن لا بوصف كونهم دينيين، بل بوصف كونهم علماء باحثين وإن تناول بحثهم فيما تناول الدين نفسه ، ويكونها كتاب ولكن لا بوصف أنه مصدر للأحكام الدينية ولكن بوصف أنه يتضمن إنتاجاً علمياً خاصاً ، وعلى عدد من العلماء الباحثين ، وعلى قيمة إنتاجهم العلمى تختلف الشخصية العلمية قوة وضعفاً ، فإذا وجدنا من بين الأزهريين فى عصر من عصور تاريخه عدداً يمتاز بالبحث ورأينا لبحثه قيمة علمية دل ذلك على أن الأزهر له بجانب قوة وجوده الدينى قوة أخرى لوجوده العلمى؛ وإن لم نجد بين رجاله من له ولعله هذه الميزة كان اعترافنا بوجوده فقط لقوته الروحية

وقد أطال أحمد حسنين فى وصف القمر والنجوم ، كما أطال فى وصف الشروق والغروب ، فكيف صنع فى هذه الأوصاف ؟

تقل إلينا أحاسيس أهل البادية بقوة وحيوية ، لأن الكواكب فى البوادى لها سِحرٌ يجهله من يأنسون بأضواء المصابيح

ثم ماذا ؟ ثم أقول إن أحمد حسنين صوّر نفسه فى كتابه بصورة الرجل المتحَن بهوى الصحراء ، ولو قال له النادون : ما تشتهي ؟ لقال : أعود ! ! كما عبر الشريف الرضى عند فراق بغداد

وهنالك صورة أبدع وأروع ، هى صورة العالم الحصيف الذي أباحه العلم ما لا يباح من هتك أسرار الصحراء

هنالك أحمد حسنين الذى يتعارض ليخلو إلى أجهزته العلمية فى غفوة الليل

هنالك الباحث المستقصي الذى يدوّن كل ما يرى وما يسمع وما يذوق بلا تأجيل ولا تسويف . . .

هنالك الرجل الذى يرصد الشمس من وقت إلى وقت ليُمِدّ العلم بزادٍ جديد

هنالك الوطنى الغيور الذى ينص على قيمة بعض الواحات من الوجهة الحربية

هنالك المفكر الذى يشرح ما فى الصحراء الغربية من مذاهب وآراء

أما بعد فتلك هى الملامح الفكرية والعقلية والذوقية للرحالة أحمد حسنين ، وهى « الدليل » الذى « يوجّه » الطلبة إلى سرائر كتابه النفيس

وكل ما أرجوه أن تكون الفتوّة التى اتصف بها المؤلف من أعظم مطامح الشبان فى هذا العهد ، فقد رأوا بأعينهم كيف تكون الخشونة أقوى الدعائم فى بناء الرجال

زكى مبارك

الدينية ، وهى أبدية خالدة ، وأبديتها لا تتوقف على قيمة جوهرها فى نظر العقل الإنسانى لأنها وجدت فقط لانتسابها إلى شىء خارج عن نطاق الإنسان نفسه

وليس معيار البحث فى كثرة الجمع أو الاختصار ، وليست قيمته العلمية فى الحفظ والتحصيل ، بل فى الاستقلال فى التفكير فى النقد الإيجابى . فكثرة عدد « العلماء » ووفرة مواد الدراسة وكثرة الكتب المتداولة فى الدرس ليست عنواناً على وجود الشخصية العلمية ، بل لا بد من أن نلمس فى « العلماء » بوصف عام الاستقلال فى التفكير ، ونعثر فى هذه المواد وتلك الكتب على شخصياتهم

وبهذه الشخصية العلمية فقط يمكن للأزهر أن ينافس غيره من الجامعات المدنية ، وعلى نوعها يتوقف « مجاله الحيوى الدنى » فى الضيق والاتساع ونفوذه على الخاصة فى الضعف والقوة . والذى يتولى شؤون الأزهر ننعته بالمصلح العلمى ، لا من حيث أنه يغيّر فى مواد الدراسة بالزيادة أو بالنقص ، أو يعدل فى النظام العام مثلاً ، ولكن من حيث أن إشرافه كان ذا أثر فى الإنتاج العلمى وفى تكوين الشخصيات الباحثة . لا ننعته بالمصلح العلمى لأن فى عهده مثلاً يستطيع نفر من الأزهريين أن يخالف فهماً مألوفاً شائعاً فى بعض الأحكام الفقهية الفرعية دون أن يتعرض الباقون منهم له بالأذى مجاملة له أو خشية منه ، وإنما يستحق وصف المصلح العلمى حقاً إذا كان مبعث عدم التعرض من الباقين الاقتناع الذاتى بحرية التفكير وبجواز الاستقلال فى التفكير ، ولكنه لا يعدم فى كلتا الحالتين أن يلقب « بشيخ الدين » أو بالزعيم الدينى إذا قاد مع ذلك مدرسة دينية مخصوصة لها ميزة إيجابية فى حياة الإنسان العلمية . فالإمام المرحوم الشيخ محمد عبده زعيماً دينياً أكثر منه مصلحاً علمياً ، وإن كانت له شخصية العالم الباحث ، لأن بحثه قام على النقد ، وإنتاجه يمثل استقلالاً فى التفكير إلى حد ما ، على الأقل أكثر مما كان مألوفاً فى عهده

وفى العشرين سنة الأخيرة من قرننا العشرين ، أى فى المدة التى أخذ فيها الجامع الأزهر لقب جامعة علمية وأصبح الوصف العلمى جزءاً من شخصيته القانونية نجد نزاعاً منكراً يأخذ ألواناً مختلفة بين جامعة فؤاد الأول المدنية والجامع الأزهر يدور من جانب رجال الجامعة على أن الجامعة دون سواها هى موطن البحث العلمى ، ومن جانب الأزهر على أن الأزهر يشارك الجامعة فى هذا العمل . وبينما يعلل « الجامعيون » دعواهم باستقلالهم فى التفكير فى البحث – عن التقليد وما ورد من الثقافة الموروثة – إذ بكثير من الأزهريين يلجأ فى تعليل المشاركة إلى نظام الكليات والتخصصات فى الأزهر ، وهو نظام جامعى . وكما يؤخذ على الفريق الأول عدم الدقة فى تحديد معنى الاستقلال فى التفكير ، يؤخذ على الفريق الثانى التعليل بالشكليات . ويجب على الفريقين أن يجاوزا هذا ويحتكما إلى عمل الأستاذ نفسه

ولكن ليس من السهل علينا نحن الأزهريين أن نحتكم إلى الأستاذ . وبالأخص إلى عمل النخبة من أساتذتنا ، إلى عمل جماعة كبار العلماء – وهم أساتذة الأساتذة – لأن من العسير أن يطلع أجنبى عنهم على ما لهم من « رسائل » ومن هنا يصعب تقدير عملهم من الوجهة الفنية

والحكم على عملهم من عناوين رسائلهم فحسب لا يخلو من نقص . فعناوين كثير من رسائلهم وإن احتملت أن مضمونها جمع لمنثور أو اختصار لمطول أو معالجة مفككة لمسائل تافهة أى لا تشتمل على عمل علمى بالمعنى الصحيح ، إلا أنها فى ذاتها قد تكون – مع احتمال آخر – أبحاثاً مؤسسة على استقلال فى التفكير ونوع من النقد العلمى

فإلى أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا – لأن عملهم وحده أمام التاريخ وأمام الحكم العدل هو الأساس الذى يبنى عليه الآن التقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر العلمية – يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بعد من جماعة كبار العلماء إما أن نسعى فى أن نطلع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ، وبذا نكون علماء ، أو نعمد إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمى فنؤمن بما يدعونه أو ندلهم على موضع الدعاية فيه

ومتى تنشر هذه الرسائل ؟ ... علمه عند الجماعة نفسها !

محمد البهى
مدرس علم النفس والفلسفة
بكلية أصول الدين

حكم استئنافياً بتغريم زكى محمد إبراهيم البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٥ ٨٨٨ بجلسة ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٠ خمسون قرشاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

أومنُ بالإنســـــان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أومن به إيماناً عميقاً بصيراً ... وأرصده رصداً مستوعباً يطيف به في جميع بقاعه ومختلف أوضاعه ، وأستوحي نظرة الله إليه ورحمته به وتسديده إياه في طريقه إلى مستقبله المجهول ...

أومن به حتى في هذه الأيام التي ساء الظن به فيها وتبجح الرأي بقيمته وكفر هو بنفسه وسخط على حياته ، وبدت فيها خبائثه ومكايده وقسوته ، وذاق بعضه من بعضه البأس الشديد والشقاء المنكر ! وتهددت حياته عوادي فناء صنعها هو على أسلوب الصواعق والزلازل والبراكين وسائر غضبات الطبيعة التي طالما جأر إلى الله بالدعاء والبكاء أن يحفظه منها ويحفظ الأرض بما حملت من مواريث صناعاته وابتكاراته وأمواله وأعماله وعياله من سوء عقباها في التدمير والإبادة ...

أومن به لأومن بربه ... فلو طاوعناه على مقتضى قساوته وشقاوته في حياته الراهنة لأنكرنا كل مثل كريم هبط من السماء أو صعد من الأرض ... ولأخلدنا معه إلى عالم الجحيم الذي فتح أبوابه على نفسه في أكرم البقاع عليها في لندن وبرلين ... !

وأوصي به الناظرين إلى حاضره في يأس وقنوط وإلى مستقبله في تشاؤم ... فما ينبغي للذين آمنوا بالمثل العليا ، وعرفوا أن الإنسانية كلها مخلوقة لإدراكها أن يزلزلوا عنها ويجحدوها إذا ما أصاب الأرض نكسة إلى جهالة قديمة ، وارتداد إلى أعراض السفه الأولى ... بل عليهم أن يرفعوا شعلة تلك المثل وسط احتدام الظلام والظلم حتى يمسك بخيوط نورها من يريد ألا تجرف روحه أمواج الظلمات ...

وإيماننا بالإنسان هو الذي يوحي إلينا أن نعمل له ونبسط عليه شعور حبنا ونقدم إليه ما نستطيع من خدمة . ولو أنكرناه وكفرنا بقيمته ما بقي لنا شيء في الأرض نلوذ به ونأنس إليه من وحشة الصمت المطلق والسكون المطلق ، والبكم والصمم والعمى التي تلف غيره من كائنات لم تدع في الحياة حديثاً مفهوماً عن غايات الحياة ...

وإنني ما أبصرت شيئاً غيره تَعمُقُ معه الحياة وتتسع وتتركب وبتنوع الإحساس بها ... ولولاه لكنت صندوقاً أبكم فارغاً إلا من معاني غرائز معطلة وتجارب شهوات قليلاً ما تتحرك ... ولا اضطربت بي مجهولات الكون كغريق طاف على أكف الأمواج ... إن كل شيء في الطبيعة صامت جامد لا يعطي جواباً عن غايات الحياة إلا هذا النوع الذي أحله في جسدي وأستوحيه في فكري وأبادله ما صح وما فسد !

لقد قلت في مقال سابق : إن الإيمان بالإنسان هو عندي أول المعاني الدينية ، فلا يؤمن بالكون ولا خالقه من لم يؤمن بهذا النوع ... وكان قولي هـذا كضربة معول موفقة وقعت على باب كنز مرصود فانفتح ! ولست أزعم أن ما رأيته وراء هذا الباب حقيقة ينشدها الناس ويجدون في ظلها راحة وطمأنينة فالله أعلم بموقع هذا القول من نفوس القارئين ... وإنما وجدت وراء اهتدائي إليه راحة لنفسي وحلاً لكثير من المشكلات التي أجدها فيها وفي الإنسانية والطبيعة

ولقد علمني الخروج من نفسي ونوعي بعض الأحيان ورصدهما بعين غريب عنهما أن أرى كثيراً مما خفي على الذين يلبثون رهناء سجناء في الشبكة التي تلفهم مع سائر أفراد القطيع .

أجل، إني أرصد هذا النوع كغريب عنه فأرى منه مالا يراه إلا المفارقون لنفوسهم الخارجون بالفكر عن حدود وجودهم الناظرون إلى حياتهم نظرات الملأ الأعلى ممن هم فوق الإنسان ، والملأ الأدنى مما هن دون الإنسان ...

فماذا وجدت في الإنسان ؟ من ثناياه وعقوله تنبثق المعاني المكتومة المسجونة في أطواء المادة . وفي بيانه أصوات ربطت الكون كله ولاءمت بين نسبه المختلفة ولخصته واختزلته ووضعته أمام الفكر ملموماً ... وفيه نغمة مفهومة رقيقة وسط صخب الأمواج التي لا عدد لها في البحار ، والهبوات التي لا عدد لها في الأجواء ...

إنه مشبوب الحاجة دائمها ، واسع الآمال والخيال في تنظيم المادة وتنويعها وتصريفها والاحتفاء بكل سر فيها ، لا يخرج من الأرض إلا بعد أن يصوغ ترابها ومواتها عرائس ومباهج، ويبنيها أجساماً محبوكة ذات أوضاع وفنون ...

لقد استمرت الأرض من قبله جامدة لا يتغير فيها شيء من موادها إلا الدورات الأبدية المتشابهة من الهواء والماء

والفصول وتعاقب الليل والنهار والشهور ... ولم تر يداً غير يده تضع فى الأرض حجراً على حجر أو تحفر قناة مستقيمة تصرف فيها ماء أو تجلب ماء ، أو ترسم صورة أو تقيم تمثالاً أو تمتهن حيواناً لخدمتها ... وإنما يبدو من الطبيعة أن كل شىء فيها كان ينتظر وجود هذا النوع ليقول ليده وفكره : هأنذا لكما !

وما زالت المرآة التي فيه وهى عقله تنطبع فيها صور الكائنات واحداً وراء آخر وهو يحولها وينقلها من عالم الجماد والصمت إلى عالم الأسماء والبيان والصور والتعبير حتى فرغ منها أو كاد ...

وما زال يدور حول ظواهر المادة وصورها وأشكالها ويحللها وينبش فيها ويسبر أغوارها حتى وصل إلى عالم الكهارب والأثير وهو الآن يجرى اختباراته وتحليلاته على هـذه الأصول الأولى للمادة ليكثفها أو يرققها ويتحكم فى إخراج أنواعها بعد أن وصلت يده إلى مفاتيح توجيهها

إنه تعمق فى عالم الأجسام والقوى حتى وصل إلى مصادر الحياة الآلية ومادة الوجود الأولية ، وتعمق فى عالم المعـانى والأفـكار حتى وصل إلى الخفقات الروحية العليا والرياضيات العليا التى قام عليها تخطيط الطبيعة وهندستها

وإنه ليركب ما فى الكون من المعانى كما يركب ما فيه من مواد ، فيقيم المكتب العامرة والمقالات الحكيمة والصلوات المطهرة والألحان الساحرة كما يقيم القصر الكامل الجميل والصرح المشيد والقاطرة والطائرة والباخرة ... وإنه ليسافر بفكره فى الآفاق العليا كما يسافر بصوته وصورته فى صندوق الراديو ... وهكذا هو يتوجه فى عالم المادة والقوى العمياء كما يتوجه فى عالم الروح الواعى والفكر المميز المبصر الحاكم ... وهكذا هو رباط بين العالم الساكن الخفى وبين العالم المتحرك المرئى

* * *

إن تكن للشرق الإسلامى رسالة جديدة فى هذا العصر تضاف إلى رسالاته السابقة فى العصور الخوالى فهى رسالة الدعوة إلى الإيمان بالإنسان سيد الأرض ، وحبه وخدمته ومعرفة قيمته ... ثم الضرب على أيدى محترفى السياسة واللاعبين بالشعوب ومؤرثى العـداوة بينها فى سبيل الأمجاد الشخصية والأطماع والتسلط والاستبداد والإخلاد إلى منطق الغرائز السفلى التى ما وضعها الله فى تركيب الإنسان إلا لتكون له كالسجلات ودواب الحمل وآلات الدفع للقافلة السائرة إلى غاية

تاريخ مصباح

ولنستعرض تاريخ الإنسان على هذه الأرض لندرك مدى عبقريته فيها ، ولنعطيه من تاريخه مصباحاً يرى به نفسه : إن الله أسلمه الأرض ، وليس فيها شىء معقد التركيب غير الأجسام العضوية الحية ، وهى أجسامه وأجسام الحيوان والنبات . أما المادة فأسلمها إليه بسيطة فى صورها الأولى وخاماتها البكر ، فما زال يدور حولها ويسبر فيها وينبش ويخرج أسرارها واحداً بعد آخر حتى حدثته أخبارها ، وأخرجت له أثقالها ، ووضعت بين يديه أجنتها وعيالها ، واستفاد من تجاربه فيها عقله وحكمه — والعقل هو حفظ التجارب والحكم بمقتضاها — وعلمه ووثائق سيرته ومدونات فكره . وكلما أنماها وعقد نموها أنمت هى فكره وعقدته — والتجاوب بين المادة والفكر قانون — حتى ملأ الأرض بما ولد منها وأخرجه من كوامنها وركبه من بسائطها

وشاء الله أن تكون قوة الفكر فى الإنسان لا حد لها ، فصارت تخاريج المادة وفروقها وتمايزها لا حد لها ... وتارة يكون كشفه عن أسرارها بطريق الصدفة ، فيلقط ويدون ، كما هو واضح من نمو علم الكيمياء . فإن كل أمورها تجريبية لا دخل للفروض والظنون والتجريدات فيها ... وتارة يكون الفكر سابقاً قادراً على الفروض وقياس النسب الغائبة على الحاضرة

أى تارة تكون الطبيعة سابقة فى الوحى إليه ، وزيادة علمه وفكره ، وتارة يكون هو سابقاً فى الوحى إليها وزيادة موجوداتها ومشاهدها

وإنى لأستعرض أعماله فى الطبيعة منذ أن كان هائماً لا سقف له يصنع من ورق الشجر ستاراً لسوأته ، ويتخذ من الحجر خنجراً لسطوته ، إلى أن صنع لباسه الأوربى المعقد المنوع المزين الملون ، وصنع بيته من ناطحات السحاب ، وآلات سطوته من الطوربيد وسلة مولوتوف ... ومركبه من الحصون الطائرة ، واستوعب جميع أجزاء الآلات المعقدة فى رأسه قبل تركيبها بمساميرها وحذافيرها ... وصنع له مجاهر ومقربات يقرب بها مشاهد السموات والسدم ويحلل عناصرها ، ويكبر بها أحجام الجراثيم ويقيس بها الخلايا ويحكم بها على كل أولئك حكماً صحيحاً خاضعاً لمقاييس الحس والفكر ... أستعرض أعماله هذه فأراه بعد ذلك قانوناً نامياً لا حد لنموه فى ذاته وقانوناً منمياً

للطبيعة وصورها وأشكالها لا حد له كذلك

وجميع قوانين الطبيعة قوانين متحجرة صارمة إلا هذا الإنسان فإنه قانون مرن يذهب فى كل اتجاه . أليس فيه نفخة من روح الله ليست فى سواه ؟! والله خالق هذه القوانين وواضعها ؛ فلا عجب أن تدفعه هذه النفخة إلى الأمام فى مجاهل الكون دائماً

إن الأطفال يقلدون الرجال بغريزة التقليد والمحاكاة التى فيهم للاستعداد لمستقبل الفرد ، والرجال يقلدون صنع الله للاستعداد لمستقبل الإنسانية كلها . وجميع آلاتهم التى ركبوها وجدوا نماذجها أمامهم مما خلق الله . وجسم الحيوان هو نموذج الآلات الكبيرة السريعة التى ابتدأ بها الإنسان يتسلط على المكان والزمان والمسافات والأبعاد . وجميع أعمالهم فى الكهرباء والقوى الخفية إنما وجدوا نماذجها من المجموعات العصبية فى الحيوان والنبات ، فأرسلوا الإشارات والصور والأصوات إلى عيون وآذان صناعية عبر المحيطات والصحارى والقارات والجبال الشاهقات كما يرسل الجسم الواحد خواطره وصوادره إلى كل خلية فى أعضائه

وعلى ذلك صارت الأرض كجسم ينبض ويترابط ، وإنسانها فيها كالمراكز العصبية فى الجسم الحى : تصدر وتتلقى الجواب

حياة الشرنقة

ولكن هل يجوز أن يقف الإنسان فى نجعة ما صنع من الآلات والمرفقات ضائماً مغموراً غائباً فيها كما تغيب دودة القز فى الشرنقة التى تنسجها ، وكما تغيب النواة فى النخلة السحوق والبذرة فى الدوحة الفارعة ؟

إنه يرسل فى الطبيعة لمحات فكره ووميضات خواطره ، وصار الأثير والهواء والماء والتراب مليئاً بهمساته وأزيز محركاته وضربات معاوله إلى أعماق المناجم والركاز

وهذا حسن لو أنه لا ينسى نفسه وسط الضجة والقوة والجبروت الآلى ، والحديد البليد القاسى ، حتى يختنق ما فيه من وداعة الروح وتأمل الفكر ، والإحساس بالانفصال عما صنعته يداه

أجل يجب ألا يكون الإنسان قوة عمياء تعمل فى المادة بدون فكر وروح وإحساس سوفى فيما تعمل وقدة به وإلا استحال إلى قوة متنقلة فى عمليات التكوين والتركيب بدون وعى وفى ذهول وغفلات تشبه عمى القوى العمياء

إن طاعة الحديد البليد القاسى للفكر الطليق البارد تركت فى أعصاب الأمم الصناعية آثاراً عميقة ستطمر لا محالة جوانب من عواطف الرحمة والمروءة فى قلوب أفرادها ، وتمحو آثار العصور الصوفية التى أدرك الإنسان نفسه فيها حين كانت النبوات تتلاحق عليه

وإنى لأتخيل الآن ما جرى فى ساحات « الفلاندر » فأرى الإنسان وهو يدفع الحديد الجبار فيندفع ، ويطلق البارود الصاعق فينطلق ، والقنابل الصارخة فتصيح فى نكر وشدة ، ويملأ الجو بالدخان الأسود والنار الحمراء فيمتلئ ، ويسيل النار من «باسقات» النار فتسيل على الأجسام البيضاء الجميلة ذات العيون الزرقاء والشعور الذهبية والجاجم المستوية وتذيبها كالشمع ، وتسحقها كالرغاث ، وتذروها كالرماد ... ويرفع الفلاع الطائرة إلى أجواز الفضاء فترتفع ... أتخيله وسط هذا كله لا يسمع صوت نفسه إذا تحدث ، ولا يرى خروج نفسه إذا تنفس ، ولا يحس ألمه إذا تألم ، ولا يعى جسمه إذا أصيب ؛ فهو فى جنون الحرب يضرب الأجسام الحية النامية من شجر أو ضرع أو زرع أو حيوان أو إنسان ويخرب العامر ويهدم القائم فأقول : لقد تحول إلى قوة عمياء ، وصار عاتياً كالريح ... جارفاً كالتيار ... أعمى كالصاعقة ... قاسياً كالحديد ... صابراً كالفولاذ ... فظيعاً كالنار ...

ولست أدرى متى يفيق لنفسه ويعى بوضعه وتحولات حياته كما يعى بمستقبل المواد والقوى ، ويربط ما بينه وبين الله مفيض الفكر والحياة كما يربط ما بين نفسه وأجزاء الأرض ؟!

إن الآلة لا تدركه وهو يعمل فيها ويقوم عليها ، وهى لا ترحمه من السحق أو البتر أو الصعق إذا تعرض لها جاهل بقوانين سيرها ، فلا قلب فيها ولا فكر ولا حياة دم وعصب وروح . ولكن ما باله هو لا يفكر فى الاتصال بمن أنشأه وركبه ونسقه وصوره وهو ذو الفكر والروح والوجدان والنزوع والإرادة والاختيار والتطلع والحزر والحذر والقدرة على قياس ما غاب بما حضر ؟!

إن الاستسلام لغيبوبة الحياة الآلية ضياع وتطبع بطبع الحديد البليد الأعمى الدائر فى غير وعى وإحساس ، وأخوف ما يخاف على الإنسان أن يترك هكذا فريسة وضحية للآلات يعيش معها ويقدم لها وقودها إلى أن يفنى وقود حياته هو وينطفئ

٣ - جيـــل وجيــــل

للأستاذ محمود البشبيشي

... إذا كنت فى فكرك مع الفن الطبعى ، كانت كل آثارك من نثر وشعر ، صوراً فنية ، لا تكلف فيها ولا تعمل ، والحيوية فى الأثر الأدبى ، ترجع إلى الحيوية الكامنة فى نفس الأديب ، وكلما كانت فطرية كان الأديب ينتزع من الطبيعة صوراً ، ثم يخلع عليها من طبيعته ألواناً ضاحكة واضحة لا تنافر بينها . . . وكان موهوباً فى كل ما يكتب ويقول ... وأنت يا بنى فى كل ما حدثتنى موهوب ...

كنت قادراً على سرد أفكارك بوضوح ... والحيوية فى الكاتب هى قدرته على عرض أفكاره فى غير ما تعقيد ولا ضعف وكانت لأفكارك القدرة على التأثير ... والحيوية فى الأفكار هى قدرتها على التغلغل فى النفوس ... وكانت ألفاظك لا تحمل غير معانيها ... والحيوية فى الألفاظ هى وجودها فى المكان الذى إذا رفعت منه فقدت حيويتها ، لا تستطيع أن تنقص منها أو تزيد عليها ... لأنها وضعت كما توضع المقادير فى سجل الوجود لا نقص فيها ولا زيادة ! !

— جميل يا والدى أن جعلت للكاتب حيوية وللأفكار والألفاظ ، ولكنى أحب أن أعرف شأن هذه الحيوية فى الكاتب

— شأنها عظيم يا بنى ... فقد يختلف الكتاب باختلاف الحيوية الفكرية فيهم ... فهذا كاتب يملك ناصية الفكرة ولا يجد صعوبة فى عرضها ... فتخلص خلوص ماء السيل لا يقف ولا يتعثر ، وتسطع كلماته أنواراً هى إشعاع نفسه وطبيعته ، فتراه فى أسلوبه ، وتلمس فى أسلوبه حيويته ... وينسيك سحره كل شىء إلا ما أراد هو أن يخبرك به ! !

وهـذا كاتب يملك ناصية اللغة ولا يملك ناحية الفكرة والحيوية ... مهما أوجز أو أطنب وملأ كتابته بكل لفظ شارد خرجت أفكاره عارية ، لأن ألفاظها لا تكسوها ، أو لأنها لا تلبس ألفاظها تماماً ... مثل هذا الكاتب يا بنى تستطيع أن تسميه صانع ألفاظ ...

— وكذلك الشعراء يا والدى ... فإنك لتجد شاعراً تسمو شاعريته ، ويدق إحساسه ، فينتزع من كل مرائى الطبيعة صوراً مهما صغر أصلها ، يرتفع بها إلى القمة فى تصوير عجيب ، وتدفق غريب ، لأن فى نفسه طبيعة خلق معنوية شاعرية تكسو كل أفكاره حيوية ساحرة ، فيخرج شعره صافياً كضمير الوليد ، باسماً كثغر النيد ، راقصاً كالقلب فى فرحة اللقاء ... وهو فى إحكام صياغته ، وارتباط معانيه بعضها ببعض ، وتسلسل أنغامه ، كأنه شىء حى تكاد تلمسه وتشممه ، لأن نفس صاحبه وحيويته توزعت فيه نغما وصياغة وتسلسلاً وصفاء

— وأكثر من هذا يا بنى ، فالحيوية فى الشاعر إذا سمت اجتمع لها من الإعجاز ما يفوق حيوية الكاتب ، لأنها هنا تقوم بأعمال كثيرة منها الوزن ، والقافية الرقيقة ، واللفظ الموسيقى ، والمعنى الشارد ، والروح الشعرى . على حين أنها هناك لا يطلب منها سوى صحة العبارة وسلامة المنطق . والحيوية فى الشعر لا تكتسب بالاطلاع كما قد تكتسب أحياناً فى النثر ، لأن الشعراء قوم خلقوا وفى طبيعتهم روح الشعر ، بل وفى منطقهم وفكرهم وحديثهم ونظرتهم . فمن قال الشعر من غير طبع وخلق شعرى خرج شعره يتعثر فى قيود الصنعة وفقد روح الشعر كما فقد تسلسل النثر ! أيحسبون أن الشعر حين يكتسب بالاطلاع ويشترى بالحفظ يكون شعراً بمعناه الصحيح ! ألا إن الحيوية الشعرية لا تكتسب أبداً ولا تباع . إنما هى تخلق مع الروح

— وكما توجد الحيوية يا والدى فى الأديب وأدبه ، توجد

مصباحه ويذهب إلى ظلمة القبور بدون بصيرة منيرة يسعى نورها بين يديه فى العالم الباقى غير المنظور

وعلى هذا ينبغى أن تقوم فى الناس دعوة إلى الإحساس بالنفس واليقظة الدائمة لها وتزكيتها والرفع من قيمتها ، وهذا لا يكون إلا بالدين والفن الرفيع : الدين المثالى الطبيعى المبنى على إسلام النفس لله البارئ والطبيعة الأستاذة ! والفن الرفيع الذى يخلق جواً يحضر للقلب بعض المعانى الثابتة التى ترى الإنسان وضعه الممتاز الفريد الطليق وسط ما فى الكون من المواد والقوى والمخلوقات السجينة ... تلك المعانى التى تتراءى وراء بيان ذوى البيان النظيف ، وألحان ذوى الأصداء البعيدة ، وعيون ذوى الصفاء والإدراك ..

عبد المنعم خلاف

أيضاً فى الرسام وفنه ، وكما يختلف الأدباء باختلاف الحيوية فيهم يختلف الرسامون كذلك ، فإنك لتقف أمام لوحة زيتية لفنان موهوب ، امتزجت روحه بالفن وامتزج بها ، وسبح فى عوالم لا يصل إليها غير من رقت روحه ، وكشفت عن كل خفى من المعانى ، وخلع إحساسه الفنى على صور الطبيعة ألواناً من نفسه ، وخامت صور الطبيعة على ألوانه ألواناً حية ، لو وقفت أمام صورة لمثل هـذا الفنان دبّ فى نفسك شعور غريب يملك حواسك ، بل يخرج بحواسك عن حقيقتها ، فتعتقد أن هذه الشجرة الزيتية شجرة حية تهتز وتتحرك ، وهذا النهر الملون تكاد تسمع له خريراً حلواً . ولا غرابة فى ذلك ، فحيوية الفنان هى سر حيوية لوحته الفنية . وأقسم أنى ما وقفت يوماً أمام لوحة لفنان موهوب ، تشع لوحاته إشعاعاً كله حيوية تتحرك وتؤثر وتعجب إلا وانقلب منطق إحساس . فأصبحت أسمع للألوان أصواتاً ، وألمس فى سكونها حركة . . . واللون الساحر يا والدى إذا وضعه فنان ساحر فى موضعه الفنى لا يظهر لوناً فقط ، بل يظهر لوناً وحقيقة حية !

— والحيوية فى الرجال يا بنى هى سر الرجولة الكاملة فى كل عمل يُعمل ، والرجل صاحب الحيوية هو الذى أحكم دقيق أمره وجليله ، وامتنعت صفاته السامية كثيرها وقليلها ، واحتوى من قوة الروح وهيبتها ما يشعر الجو الذى هو فيه هيبة غير مصطنعة وكانت فيه قوة ذات رحمة إذا قدرت ، وذات بطش إذا ظُلمت ! وارتفع بكل هذا عن كل مغمز وكل مقالة ...

— وحيوية الحقيقة يا والدى هى قدرتها على الذهاب بالباطل ، وإن الحقيقة لا تسمى حقيقة حتى تستطيع أن تقول للكذب أنت كذب فيقتنع ويخر ساجداً ، لأنه يعلم أنها تخاطبه بلسان الواقع والمنطق ... وقد تسكن الحقيقة أحياناً وتحتجب إذا كان فى نفس صاحبها ميل إلى الاستكانة إلى الواقع ولو كان ظالماً ! ! فتظل مقنعة تحاول الظهور كلما تمردت فى طبيعتها نزعة الحق ، فإن أفلحت فى ذلك خرجت تحمل قوتين : قوة الحق ، وقوة الإقناع . وكانت مدفوعة بدافعين : دافع استحقاق الوجود ، ودافع حب الانتقام من كل معارضة كاذبة ...

— وهـذا ما كان من أمر حقيقتك وحقيقة إخوانك شباب الأدب ، فقد ظلت ساكنة مقنّعة ، راضية بالواقع ، حتى تحركت طبيعة استحقاق الوجود فيها فقامت ثائرة تناقش ، وكان لها من ثورتها قوة تمطر مطرة من الأفكار والحجج ، كلها حق وكلها واقع فى المقالين السابقين ... ولـكنى أرى أن قوتها ترجع إلى سر الحيوية الكامنة فى نفسك وفكرك ومنطقك . وإذا وجدت الحيوية فى شىء كان وجوده فى الحياة وجوداً للحياة نفسها

— أجل يا والدى كان لا بد أن يشعر الشباب بحقه فى الحياة الأدبية ، وبأن الواجب تشجيع الموهوبين منا ، فليس معنى الحياة أنك تحيا وتتحرك وتسكن ، وليس معنى الحياة أنك موجود فيها ... إنما الحياة الحقة أن تشعر هى بك ... فتكون فى الوجود وجوداً ، وفى الحياة حياة !!... وفرق بين أن تشعر أنت بالحياة ، وأن تشعر بك الحياة ، وفرق بين أن تكون خبراً من الأخبار وأن تكون الحياة خبراً من أخبارك !!... إن الرجل من امتلأ حيوية ، وظهرت حيويته فى أقواله صدقاً ، وفى أفعاله فلاحاً ، وفى نظراته صواباً ، وفى منطقه استقامة ، وكانت أقواله وأفعاله ونظراته ومنطقه هى حقيقته التى تقول إن ساحبى خلق فى الحياة حياة أخرى ... وجعلها خبراً من أخباره ! !

— هذا قول رائع يا بنى ولـكن كيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة السامية ؟ وكيف يستطيع أن يكون نفسه هذا التكوين ؟

— إن الأمر على شىء من الخطر والصعوبة يا والدى ، فهو يحتاج إلى خلق شخصية خاصة به فلا يكون صورة لغيره ، وعليه أن يتعود الصدق ، وإن صعب اليوم تعوده ، فلا يدخل فى كل خبر كلامه ، وأن يجعل ألفاظه من نور ضميره ، لا من سواد رغباته وأطماعه ! ! لأن الرغبات إذا اسودت بسطت سلطانها وسوادها على كل عمل يعمله الإنسان ... وأن يعرف كيف يكيف صور الحياة التكييف الذى يجعلها باسمة ... وأن يخلق لنفسه مثلاً أعلى ... وأخيراً أن يبث فى شخصيته وصدقه وضميره وتكييفه للحياة ومثله الأعلى حيوية تكفل له النجاح فى كل سبيل ينهجه ، وعمل يعمله ، وفكر يتأمله ... فتشعر الحياة بأنه موجود فيها ! !

ولـكن ليس من السهل يا بنى أن تشعر الحياة بك ، وإن هـذه الصفات التى بينتها لا تجتمع لـكل إنسان ، ثم إن الوصول إليها من الصعوبة بمكان ... وليس فى مقدور كل فرد أن يكون رجلاً ... يحسن مغالبة الحياة ومدافعتها ويجعل فكره وشعوره فى الناحية التى لا تقيم للخطوب وزناً ... وليس الرجل من يبكى لأن الطبيعة وهبته عيناً تدمع ! ويصرخ لأنها أعطته لساناً يصرخ ! ويبأس لأنه عجز ، ولأن الحر من طبيعته اليأس إذا

لم يقدر ! إنما الرجل من يخرج من عينه إشعاع كله حياة وابتسام لأن الطبيعة وضعت السحر فى البصر ، ويضحك لأنها وهبت فه معنى الضحك ، ولا ييأس لأن الحياة لا يأس معها ... ولمَ اليأس ... وليس فى الحياة ما تنقطع عنده حيلة من الخطوب ؟ فإذا نظر الإنسان فى أحوال حياته ، وصدق تأمله ، ولم يمنعه إحجام ، ولم يقيده تردد ، ولم يذهب بجلده رهبة ، استطاع أن يجعل كل أمر قريب المتناول ، هين المحاولة ...

— أجل ياوالدى ... كم مرت على أيام ، علم الله لم يك فيها ألم ولا يأس ... ولكننى استقبلتها وفى نفسى ألم ويأس فغمر إحساس نفسى الحزين كل صور الحياة فرأيتها عابسة قاتمة فشكوت منها قائلاً :

ظلام يبطن الأم ليس له سر وليل يبطن القبر ليس له سر
لعمرى كأن العيش متصل الدجى فأوله قبر وآخره قبر ! !
إذا كان فى موت الحياة مرارة فموت شعور المرء حياً هو المر !

وقلت :

إيه يا قلب كم تعذبت بالدا ء ودارت عليك شر الدوائر
ومشت فوقك الحياة بشوك بعد ما بعثرت عليك الأزاهر
وظلال من الفناء ترامت فوق جنبيك يا طريد المقادر !

وإن أسعد أيامى تلك التى نظرت فيها إلى الحياة بعين السرور فرأيتها فناً من السرور وجلمت لها روحى قيثارة تغنى :

ليتنى بسمة على شفة الور د بفجر معطَّر الأنداء
وطيور تطير فى لهفة الشو ق إلى دوحها الحبيب النائى
وابتسام يلوح كالأمل الحلو على ثغر كاعب عذراء
ليتنى أرغن يُغرِّدُ بالبشر ويكسو القلوب ثوب الهناء
ليتنى لم أكن من الطين كالنا س فأشقى بفكرتى قناء

— عرفتَ يابنى كيف تستقبل الحياة ، كما عرفت أن الحيوية هى سر وجود كل شيء ، وشعور الحياة بأنه حى فيها ، وعلمنا أن الكاتب من غير حيوية فيه ، يكون صانع ألفاظ ، وفهمنا أن الرسام تخرج لوحاته صامتة ميتة إذا حرم الحيوية الفنية ... وأدركنا أن الرجل من غير حيوية لا يكون رجلاً ... لأن أعماله تكون وليدة نقص فى الخلق والرأى والتأمل ... وقلنا إن حيوية الشاعر هى كل شيء فى شعره ... أما بعد فهل تتقيد الحيوية بسن ؟ وهل هى وليدة اطلاع ومثابرة ؟ وهل ظهرت فى جيل وانعدمت فى جيل ... ؟

— أظنها يا والدى لا تتقيد بطول مراية ، وليست وليدة اطلاع ... كما أنها تكون فى كل الأجيال

فكما تحسها فى قول الزهاوى :

هناك نواميس بها أنا عالم وأخرى على جهدى بها لست أعلم
وما أنا شيء مثلما أنت فاهم ولا أنت شيء مثلما أنا أفهم

وكما تلمحها فى قول الدكتور أبى شادى :

تتلاقى الشفاه وهى ظماء ثم تظمى على ارتواء وتنفس
وتطيل اللقاء وهى سواء عن حياة بوجدها تتنفس !

وكما تتلألأ فى قول العقاد :

ليس بين الجنون والعقل إلا خطوتا سائر ، فحاذر وأمسك
أول الخطوتين نسيانك النا س وأما الاخرى فنسيان نفسك

تظهر أيضاً فى شعر كثير منا . ألست تحسها فى قول صالح جودت :

جريان الغدير يجرى دموعى ومسيلُ الدموع يُدمى المحاجر
ملأ الصبَّ من جمالك سحراً شفق الخد تحت ليل الغدائر

وفى قول مختار الوكيل :

حبذا أنت تطفرين مع الحلم بكون من الخيالات نائى
ترسلين الأنفاس وسنى كعينيك على وجنتىَّ كالأنداء

وفى قول القائل :

يودعنى القلب لو ودّعك ويرجع لو قدرتْ أرجعكْ
لقد مزق الهجر زهر الغرام وضيعنى البعدُ إذْ ضيعكْ
ولكن تعود لروحى الحياةُ إذا عاد للقلب عهدى معكْ

* * *

أما بعد : فتلك أحاديث لا يسعنى إلا أن أقول إنها كشفت لعينى أبعاداً جديدة ، وعلمتنى أن الحقيقة لا تختفى وراء الظلام ، وأن الأجيال تتأثر بحيوية فكرتها ، ويؤثر فى حيويتها صدق التأمل فتفسد بفساده وتصلح بصلاحه ، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ، ما دام الضعف يلد قوة ، والفناء يجدد حياة ...

ورأيت فيها فلسفة تعارض فلسفة ، فآمنت بأن الحيوية فى كل شيء هى سر وجوده ، وليست الحياة ومعناها فى كونك خبراً من أخبارها ... إنما معنى الحياة أن تكون هى خبراً من أخبارك ... آمنت يا بنى بكل ما تقول ... لأنك قيدت حقيقتى بكل ما تقول

محمود البشبيشى

حاشية أيضاً : كل ما جاء على لسان ولدى «حسين حسنى محمود البشبيشى» فهو من أفكاره ويكاد يكون فى ألفاظه

كتب لم أقرأها

بريد الفراعنة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

وهذا كتاب إلاَّ أكن قد قرأته فإن قليلين من أدبائنا هم الذين قرأوه . وفى اعتقادى أنه لا عذر لأحد فى مصر ألاَّ يكون ذا نصيب فيه إما مترجماً أو ناقداً أو قارئاً أو حاثاً على ترجمته أو قراءته .

وهو كتاب يقع فى جزأين ويشتمل على الترجمة الإنكليزية لوثائق فرعونية عددها أربعمائة يوجد من أصولها المنقوشة بالخط المسمارى على لوحات من الصلصال ١٩٤ وثيقة فى متحف برلين و ٨٢ فى المتحف البريطانى و ٥٠ فى متحف القاهرة ، وبقية الأربعمائة مبعثرة فى متاحف خاصة وعامة فى حواضر مختلفة ومن بينها وثيقتان فى نيويورك

هذه المجموعة تعرف باسم وثائق تل العمارنة. وأول عهد اللغات الأوربية بها فى برلين حيث نشر العالم النرويجى البروفسور كنودتسون طائفة منها ـ هى كل ما كان معروفاً منها إلى عهده. وقد استغرق مجهوده فى ترجمتها الفترة ما بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ وترجم هذه المجموعة إلى الإنكليزية العالم الإنكليزى البروفسور كلاى من جامعة ييل ، وأفرد لها جزءاً من كتابه « نقوش اللغة السامية القديمة » وأضاف إليها شروحاً وحواشى وقدمها بمقدمة طويلة

وفى المدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٩ اشتغل الدكتور صرسيه أستاذ اللغات السامية وعلم المصرولوجيا بجامعة ترنتى ـ بترجمة ما استكشف من الوثائق بعد نشر مجموعة كلاى وأضافها إليها ونشرها وهو يظنها كاملة . ولكن ظهرت بعد ذلك ثمانى عشرة وثيقة أخرى فاشتغل بترجمتها أيضاً بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، وأعاد نشرها فكانت هى المجموعة موضوع هذا الحديث

وقد تحدث عنها المستر ألبرت فيلد جليمور فى عدد ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٠ من جريدة الاجبشيان غازيت فقال :

« إن أهمية هذه الوثائق إنما تتضح لك إن تخيلت ما يمكن أن يحدث بعد أربعة آلاف عام من استكشاف مجموعة فى مثل عدد هذه المجموعة من رسائل متبادلة بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة وبين ملك انكلترا »

قال : إنه إن حدث ذلك فسيوضح هذا الأثر شطراً كبيراً من تاريخنا ومن أساليبنا السياسية وعلاقاتنا الثقافية وعاداتنا وصناعاتنا وحياتنا الاجتماعية

وأول العهد باستكشاف وثائق تل العمارنة هذه كان فى سنة ١٨٨٧ إذ كانت فلاحة مصرية من سكان قرية قرب هذا التل تجمع سماداً فوجدت قطعاً من الصلصال يختلف طول إحداها بين بوصتين ونصف البوصة وبين تسع بوصات . ويختلف عرضها بين ثلاث بوصات وأربع وعليها نقوش غريبة

وسرعان ما انتشر الخبر بين العلماء فى القاهرة وفى باريس وبرلين ولوندرا واكسفورد وغيرها . وتبين أن هذه النقوش كتابة مسمارية ، وأن هذه المجموعة ليست إلا رسائل متبادلة بين الملك امنوفيس الثالث وابنه اخناتون ، وبين رجال مختلفين من حكام آسيا الغربية ، ومعظمهم من حكام بابل وأشور وسوريا وفلسطين ، وغيرها من بلدان آسيا الغربية

ويرجع تاريخ هذه الرسائل إلى المدة بين عامى ١٤١١ و١٣٥٨ قبل المسيح

ويقول هذا الكاتب وهو أستاذ فى علوم الدين المسيحى : إن لهذه المجموعة أهمية خاصة لدى الذين يدرسون الكتاب المقدس لعلاقتها بسفر الخروج ، وأخبار بنى إسرائيل فى رحلتهم إلى أرض كنعان ، ولأنها تحدد التواريخ الدقيقة لبعض الأخبار التى تضمنها العهد القديم

* * *

لما اعتلى اخناتون عرش مصر خلفاً لأبيه امنوفيس الثالث نقل العاصمة من طيبة ، ولعل ذلك كان اضطراراً بسبب ما ترتب على تغييره عقيدة مصر من الوثنية إلى التوحيد من خلاف مع رجال الدين . وكان المكان الذى اختاره لعاصمته الجديدة هو المعروف الآن بتل العمارنة

ولقد عاد مقر الملك إلى طيبة بعد اخناتون وأصبحت عاصمته الجديدة أطلالاً . وعرفه الوثنيون من المصريين من بعده باسم « الكافر » لمخالفته عقائدهم

ولقد كان أخناتون شاعراً وفيلسوفاً ولم يكن ملكاً فحسب.

ومن بين هذه الوثائق خمس تتضمن الحديث عن هدايا تبادلها الملك المصرى وبعض الحكام والولاة . وتدل المصارحات التى تضمنتها هذه الرسائل الخمس على أن الحكام القدماء كانوا يحفلون بالقيمة المادية للهدايا

ومن أمثلة ذلك كتاب من أمنوفيس الثالث يشكو فيه اختيار الرسل الذين حملوا إليه الكتاب والهدايا من بين ذوى المراتب الثانوية فى المجتمع ، وكان هـذا الكتاب وتلك الهدايا من ملك بابل . وقد تضمن الكتاب كذلك شكوى من ضآلة قيمة الهدايا ولكنه مع ذلك بعث مع الرد بهدايا قيمة ووعد بأن يرسل أكبر قيمة منها متى قبل الملك البابلى تزويجه من بنته

وبدأت المنافسات بين الملكين المصرى والبابلى فى عهد أمنوفيس الثالث ، ولكن مداها اتسع فى عهد أخناتون إذ تفوقت بابل على مصر . وتدل بعض هذه الرسائل على ما كان ملك أشور يعلقه على نفسه من الأهمية فقد كان يلقب نفسه (الملك الكبير الذى يصر على المساواة مع فرعون مصر الذى يخاطبه بلفظ أخى) وهو ينوه فى خطابه لأخناتون بقدر الهدايا التى تلقاها جده من فرعون سابق فقد كانت عشرين وزنة من الذهب ، وهو يذكر فى الخطاب أنه لا يعدو جانب التواضع حين يطالب أخناتون بألا تقل قيمة هديته عن هذا القدر حفظاً لكرامته

وتدل الرسائل أيضاً على أن مصر رفضت التدخل فى المنازعات التى كانت بين بابل وبين آشور ، عدا أنه لما اقتصر الخلاف على أمر الحدود بين الدولتين قبل أخناتون أن يتوسط لمصلحة الآشوريين لدى البابليين سادتهم القدماء. وهذه السياسة بين الملوك الأقدمين تطرد مع ما يجرى فى زمننا كأنما التاريخ يعيد نفسه

وأكثر هـذه الرسائل مبعوث به إلى ملك مصر ، وأقلها مبعوث به من مصر . ومن بين ما بعث به مصر أربعة كتب للملوك منها ثلاثة لملك بابل والرابع إلى ملك ارزاوا . أما الرسائل التى وردت إلى مصر فمنها ما هو من بابل ومنها ما هو من أشور أو من مملكة الحيثيين أو سوريا ، وأحدها إلى أمنوفيس الثالث والد إخناتون . ورسالتان أخريان إلى سيدتين مصريتين

ولهجات هذه الرسائل مختلفة اختلافاً بيناً ، حتى لقد وجد المترجمون مشقة شديدة فى ترجمتها ، فلها من هذه الناحية أهمية لغوية عند علماء اللغات السامية

وفى الرسائل وصف دقيق لبعض عادات القدماء ومراسيم الدين وتقاليد الزواج ، كما أن لها أهمية جغرافية . وتدل هذه الوثائق فى جملتها على سيادة مصر على آسيا الغربية وعلى هيبتها منذ طردت الهكسوس إلى عهد أمنوفيس الرابع

ولقد كان ملوك مصر فى عهد مجدها محاربين ، أما أمنوفيس الثالث فبدت فيه ميول أدبية ، وأما ابنه إخناتون فقد بدأ به عهد الضعف ، وقد كان شديد الكراهية للحرب

(انتهى ملخصاً) عبد اللطيف النشار

الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استفحال أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف ، ستسير الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والإهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملاً مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض إلا إذا جددوا اشتراكهم من نصف ديسمبر إلى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك

القدر والقصص

[بمناسبة شقاء أشخاص روائيين]

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

في عام ١٨٥٠ قدمت شارلوت برونتي Charlotte Brontë الطبعة الثانية من قصة أختها إميلي برونتي Emily Brontë المسماة مرتفعات وذرنج Wuthering Heights بمقدمة جاء فيها :

« لا أدرى أكان صوابا أو ملائما أن تخلق كائنات مثل هيثكليف[1] ، ويصعب أن أظن ذلك ، لكنني أدرى أن الكاتب الذي يملك الموهبة الخالقة يملك شيئا لا يسيطر دائما عليه – شيئا يريد ويعمل لنفسه بغرابة أحيانا ، فقد يضع « الموهوب » قواعد ويبتكر مبادئ ، ثم ترقد « موهبة الخلق » أعواما في خضوع لهذه القواعد والمبادئ ؛ وعندئذ ، ومصادفة وبغير إنذار بالثورة ، يحين وقت لا تعود تقبل فيه أن « تسلف الأودية ، أو تربط رباط في خط المحراث[2] » – حين « تضحك من زحام المدينة ، ولا تهتم بصياح الحوذي » – حين ترفض كل الرفض أن تصنع من رمل البحر حبالا لحظة أخرى ، وتشرع تنحت التماثيل فتجد « أنت » صورة من بلوتو أو جوف A Pluto or a Jove[3] وتيسيفون أو سيكي A Tisiphone or a Psyche[4] ، وحورية ماء أو مريم العذراء A Mermaid or a Madonna[5] ، كما يوجه القدر أو الإلهام . وليكن العمل عنيدا أو مجيدا ، مفزعا أو سماويا ، فإن لك اختيارا ضئيلا متروكا ، غير أنه اختيار هادئ ساكت . أما أنت أيها الفنان الإسمى « الصورى » فإن نصيبك منه كان أن تعمل مستكينا بإرشاد لم تفهمه ، ولا استطعت أن تستوضحه – إنه لا يلفظ في صلاتك ، ولا يلغى أو يغير على هواك . فإن كانت النتيجة خلابة ، فسيمدحك العالم أنت الذي تستحق من المدح قليلا ؛ أما إن كانت تشمئز النفس منها ، فإن العالم نفسه يلومك ، أنت الذي تستحق من اللوم قليلا كذلك »

(١) أهم شخصية في القصة ، وهي شخصية بغيضة جداً . وكانت موفقة في الشر إلى حد بعيد .

(٢) سلف الأرض أي سواها بالمسلفة أو حولها للزرع .

(٣) الأول إله الجحيم عند الرومان ، والثاني كبير الآلهة عندهم .

(٤) الأولى إحدى إلهات ثلاث للقضاء والقدر والانتقام في الأساطير الأغريقية وكن ضبابيات الشعر . والثانية في أساطير الأغريق هي الروح المجسدة ، أو النفس والروح الانسانيتان ، أو العقل الانسانى .

(٥) حورية الماء في الأساطير كانت امرأة إلى الخصر ، بارعة الحسن ، ثم ينتهي الجسم بذنب سمكة . وكان يمكن أن توجد علاقات بينها وبين الانسان . لكن هذه العلاقات كانت تجلب المكاره غالبا .

وفي عام ١٩٣٠ قدم ه . و . جرد H. W. Garrod لطبعة هذا العام من هذه القصة ، بمقدمة أيد فيها شارلوت في تفسير قسوة القصة بالقضاء والقدر أو الإلهام ، قال :

« إذا لم يمكن وصف قصة مرتفعات وذرنج بأنها أعظم قصة « غير مسرحية » في لغتنا ، فإن لها على الأقل أن تدعونا بعدل إلى اعتبارها أصدق قصصنا إلهاما[1] ؛ وقد أحسنت شارلوت برونتي كشف قوتها العجيبة إذ تكلمت على « القدر أو الإلهام » (إلى أن قال) : ليست الطبيعة ، بل القدر ، يبدو أنه أخذ القلم من الكاتبة ، وكتب لها . (حتى قال) : لو كان مدبر القصة شيئا أقل من « القدر أو الإلهام » لكانت سفينتها غرقت وسط متاعب الأنانية »

هكذا قال مقدما القصة الغريبة الرفيعة . ولم يكن يسع شارلوت الموهوبة الملهمة إلا أن تتأمل غرائب القصة وسببها الدافع وإلا أن تجد أنه القدر . أما الإلهام فمن القدر . ولم يكن يسع « جرد » إلا أن يعجب بهذا التوفيق إلى تفسير سبب هذا العمل الأدبي الطافح بالقسوة والغرابة ، وإلا أن يؤيده ويكرره في راحة وسرور

ولو لم تتكلم « شارلوت » و « جرد » عن عمل القدر في هذه الرواية لكان جديرا بنصف قراء هذه القصة أن يتساءلوا مستنكرين : لماذا قسمت حظوظ شخصيات هذه القصة كما قسمت ؟! ولماذا نجح الشر فيها كل ذاك النجاح ؟! ولماذا شقيت شخوصها الطيبة ما شقيت ؟!

طالت كثيراً من المآسي فلا أذكر أني عجبت من المؤلف عجبي من إميلي برونتي وأن تكن قصتها المحشودة بالمآسي ليست في قالب المأساة

(١) مكتوب على « جاكت » غلاف القصة أنها لو كانت في قالب مأساة « تراجيديا » لكانت أسمى قطعة للقوة والعاطفة والطبيعة البشرية ، على النسق العالي ، منذ شكسبير Oxford, 1936 .

الناس يشقون بمكتوب القدر ، ويسألون الله اللطف والرحمة ؛ وقد يتعجبون فى تسليم من الحكمة الخفية كيف تكون . وقد يستغربون وجود غاية مجهولة معقولة لأن عقولهم لا تنفى فى هذه القضية بغير إيمان ثابت . فقد يسأل القارئ بعد تلاوة هذه المأساة وأمثالها : أما كفى المؤلف شقاء الناس فى الحياة فيشقى شخوصه فى الورق والخيال وهى من صنع يده لولا أن قدَر الحياة يتدخل فى قَدَر الخيال ! إنه لا يجوز أن تشقى هكذا تلك الأحياء الخيالية الطيبة . فإن جاز شقاء شخوص روائية فحين يصف مؤلف أشخاصاً حقيقيين فى قصة وصفية غير وضعية إلا أن يكون المؤلف قاسياً وحشياً

ويظهر أن مخرج هذه الرواية للسينما رأى شيئاً من ذلك ، فرأيناها خلواً من شر ما فيها من شذوذ وقسوة . وإن يكن قد شوهها بالبتر والاقتضاب والتعديل

هذا ، وقد كان كلام شارلوت على القدر والإنسان والاختيار المتروك له ، وهو مناط الكسب ، كلاماً صائباً يوافق فى عمومه رأى السيد جمال الدين الأفغانى فى مقالة « القضاء والقدر »[1]

* * *

وفى « عهد الشيطان » الأستاذ توفيق الحكيم أقصوصة عنوانها « الأميرة النضي » . وهى « بريسكا » بطلة قصته « أهل الكهف » . والمؤلف يحاور بطلة قصته بهذا الحوار الذى طرق به موضوع القدر :

— قل لى أنت قبل كل شىء : ماذا عليك لو أنك أبقيت لى مشلينيا ؟ ... لو أن قلمك تمهل لحظة قصيرة ولم يقصف تلك الحياة لكنك ضننت بها أيها القاسى الظلوم !

— لست قاسياً ياسيدتى ولا ظلوماً . ولو كنت أملك أمر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر

— لو كنت تملك ؟ ومن غيرك يملك ؟

— لا تحمليني يا سيدتى هذه التبعة !

— جميل أن ينفصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل !

— آه ، ما أظلم الإنسان ! وما أحوج الخالقين إلى الرحمة والرثاء فى هذا الوجود

— نحن الظالمون وهم المظلومون ... شىء بديع !

— إنكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم ، وهم براء من كل صفة من هذه الصفات . فلا ظلم ولا عدل ، ولا قسوة ولا حنان ، ولا غضب ولا رضى ، تلك عواطف لا يعرفونها ولا يشعرون بها . ولو أصغى إله لصوت آدمى لا نحل السكون فى طرفة عين ، كما تنحل قصة أهل الكهف لو أنى أصغيت إلى شخص واحد من أشخاصها ! فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة ، ولا تعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة أن تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتلقى عناصر الفوضى فى العمل كله . كلا يا سيدتى . إنى لم أرد موت مشلينيا ولم أرد بقاءه ، ولم أحب ولم أكره ، ولم أظلم ولم أعدل ، إن الخالق لا يمكن أن يخضع لغير قانون واحد : « التناسق »[2]

فكيف لا يعرف الخالق الذى يحدثنا عنه الأستاذ الحكيم الظلم والعدل والقسوة والحنان والغضب والرضى وهو الذى خلقها ؟ ! وكيف لا يشعر بها وهو يتصف بأكثرها ؟ أو أن هذا الذى يصفه الأستاذ طراز من الخالقين طريف : اختصاصه الأبدان وليس من اختصاصه المواطف !

وكيف يجهل هذا الخالق المفاجآت ولا يحسب حساب الظروف وطارئ الطلبات ، والمخلوقات يعرفونها ويعدون لها ما استطاعوا من عدة ؟! أفينجل الكون العظيم لو أجاب الخالق دعاء إنسان يطلب شيئاً معقولاً هيناً على القدرة الإلهية ؟ !

وما عزاء المتدين عن مصائبه إذا لم يكن له أمل فى رحمة الخالق وفى نعمة الجنة ؟ إذن ما أضيع المخلوق !

وما هذا التناسق الغريب الذى لا يكون إلا مركباً من نسبة من الشر لا تنقص ؟ ! فكيف إذن يكون الحال فى الجنة التى لا شر فيها ، ألا يكون فيها تناسق ؟ ! كذلك القصص التى ليست مآسى ، هل انعدم التناسق فيها ؟ ! فإن يكن المراد « التناسق الذى يقتضيه الحال » فأين إرادة الخالق واختياره ؟ ! وكيف يكون خالقاً من ليست له إرادة ولا اختيار ولا تدبير فيسيطر عليه المقام والسياق والاتفاق ! فقد يسوقه التناسق فينساق فيكتب فى لوح القدر تراجيدية أو دراما أو كوميدية .. ثم هو بعد ذلك خالق وله قدر !

* * *

(١) ص ٧٠ — ٧٢ ، ١٩٣٨

(٢) العروة الوثقى ص ١١٩ — ٢١ ، بيروت ١٩٣٣

من وحي الريف

ريف وروح ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السرعة إحدى خصائص العصر ، وهي على رغم أخذها الناس بالسوط تستحثهم على المضى ، تهيب الأديب ، لا تجرؤ على الدنو منه ساعة سبحه فى الفراغ الطويل ، أو تأمله بدائع الكون العظيم ، أو انجذابه بسحر الطبيعة ومفاتنها

للأديب الذى يركب القطار من القاهرة إلى الأسكندرية ، أو منها إلى الصعيد بعض العذر فى رمى الريف بالصورة الواحدة ذات الوجه واللون الواحد ، وله أن يدعى الملال من الرؤى الرتيبة ، لا لأن طبيعة الريف هى كذلك ، بل لأن أثر السرعة فى نفسه أبلغ من أثر تهيئها لتقبل الجمال ولمح قسمات الروعة والبهاء المطوية والمنشورة ، البادية والخافية والتشبع منها على مهل

والريف كالمرأة فى مجموع تكوينها سحر يدرك بالغريزة ، وفى تفصيل قسماتها فتنة تعيها لطافة الحس بالاشتراك مع الشعور والذوق وتفتق البصيرة

الريف للأديب المتسرع جمال موقوت وبهجة زائلة ، ولقرينه المتأمل هيكل فى مباءة الأرواح . . .

ما سمعت من أديب ثناء على ريفنا الصامت ، بل رأيت ملامح الضجر تضج من الصمت فقلت هو ذا مظهر من مظاهر السطحية لا يقوى صاحبها إلا على مسايرة العصر فى سرعته وتسرعه ، ويعجز عن مجاراة الروح فى سبحه وتأمله وانجذابه

لم ترنى « الدقهلية » تخيلاً تبدى لى فى الصعيد بقامته الممشوقة ، وأغصانه المعروشة ، وعناقيده المدلاة ، وبلحه النحامى القاتم والذهبى الصافى اللون ، بل أرتنى منابت الأرز تلبس عشرات ألوان متناسقة متساوقة من خضرة السندسى المفرح ، تسبح فى أمواه رقراقة لا تفيض حتى يدرك النبت النضج فيتناوله المنجل ، وكأنى سمعتها تقول : « نموم فى أمواهنا نستكمل حياتنا فيها كما يستكملها الأديب الموهوب فى حب متقطع متواصل يحيا به حياة دائمة التوقد والالتهاب حتى قطعه المنجل ! »

رأيت فصول العام مستوفاة فى أرض الريف فى ساعة واحدة هنا وهناك ربيع وخريف للقطن والقمح والأذرة والبرسيم ، وهنالك صيف وشتاء لأرض تتأهب لغرس جديد

إن تعجب يا ساحبى فاعجب لقطان هذا الريف السخى إذ لا شىء أدعى للعجب بله الدهشة من تلقيك عكس ما كنت تتوقع وتتأمل

فى طباع قطان الريف جود وبخل ، حلم وسفه ، ظرف

وقد انتهى دور أفلاطون فى مسرح الدنيا ، لكن ديكنسون Dickinson استطاع أن يهيىء له فيه مرة أخرى دوراً فى محاورته « بعد ألفى عام »[1] وهى حوار بين أفلاطون وبين شاب عصرى كذلك أسدل الستار على حياة فولتير ووشنطون ونابليون ، لكن مادارياجا Madariaga أنطقهم وبثهم فى الخيال المسطور فى « ساحات الفردوس »[2] . وقد رقد المرى بعد سهاد دنياه ولكن الأستاذ العقاد أيقظه ليسجل فى صفحات « رجعة أبى العلاء » أنباء رحلته فى هذا العصر فى الدنيا الحديثة . هذا وإن كان الأستاذ العقاد قد استصوب كلام الأستاذ الحكيم فى « كناشة الأسبوع » بقوله :

« وهذا كلام جميل أصيل لا يحل به المؤلف مشكلة بريسكا وحدها ولا مشكلة الفن وحده ، بل لعله يحل به مشكلات كثيرة ، ويكشف به أسراراً كثيرة ، من مشكلات القدر وأسرار الوجود »

لقد أراد الأستاذ الحكيم أن يفسر القدر فى القصص فنظر إلى القدر فى الوجود فلم يوفق إلى حقيقتهما معاً حيث وفقت شارلوت برونتى إلى تفسير أقدار القصص برأى معقول . وللحكيم العذر فى إخفاقه لأنه سلك سبيل القدر الإلهى ، وهو عصى على الأفهام

شجعنى على إبداء هذه الملاحظات على « سُنَّة » الأستاذ الحكيم فى « مخلوقاته » الروائية ، أنه « خالق » لا يعرف الغضب ولا يشعر به ، وأنى لست مخلوقاً روائياً فأدخل فى اختصاصه ...

عبد المجيد مصطفى خليل

(١) After Two Thousand Years (٢) Elysian Fields

وسماجة ، ذكاء وبلادة ؛ ولعلي لم أتلمس وألتفت إلى الاستكانة وضدها الأنفة ، والتواضع وضده الكبرياء ، والشجاعة يقابلها الجبن ، وسهولة الخلق وتوعره ، لأنها وإن كانت من الصفات التي تسم روح الفلاح بميسم الانطلاق والحرية والاعتماد على النفس ولكنها مكبوتة فيه ، مخنوقة من الجور الذي لا تبلى جدته ، ولا يصدأ معدنه ، الجور الناعم الباسم وقد توارثته الأجيال الحاضرة عن الظالمين والمظلومين من أقدم العصور

والريف وضيء الطلعة ، واضح السنة ، كفتاة في مستهل الصبا ، عفيفة الطوية ، إن تصدت تتصدى لأليفها ، أو للقريب من روحها ، وليس للمحة الخاطفة عندها مهما بان سناها سوى أثر البرق ...

اقتربت من فتيات ريفيات يجنين القطن ، وكنت إذ ذاك متيقظ النفس ، متشوقاً إلى رؤية جنى محصول مصر العزيز ، ولكني ما كدت ألق بالنظرة الخاطفة حتى غامت الرؤى في عيني ...

لقد تذكرت الأديب فخري أبا السعود ، هذا الرجل الذي صدمته الحياة فتغلب عليها بالموت ... تذكرته للفصل الممتع من الكتاب القيم الذي نقله إلى العربية لمؤلفه توماس هاردي في وصف فتيات ريفيات يحصدن القمح في الحقل ، وإني لأنقل شذرة من الفصل للدلالة على أدب السرعة الذي نأخذ ذواتنا به لسهولته وخفته وعلى الأديب الموهوب الذي يندمج في موضوعه فيمتزج به ، فيشيع فيهما روح واحد ، فنسمع تجاوب الروح الواحد ...

« تركت الآلة الحاصدة المحصول وراءها في أكوام صغيرة ، كل كومة منها تصلح لأن تكون حزمة ، وعليها أكب الحاصدون بأيديهم ، وكان معظمهم من النساء ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلات تجمعها حول أوساطهم أحزمة من الجلد » « أما بنات الجنس الآخر فكن أهم شأناً وأمتع منظراً ، شأن المرأة حين تندمج في مظاهر الطبيعة بدل أن تظهر بينها بمجرد ظهور ، كما هي الحال غالباً ، فالرجل في الحقل يبدو شخصية قائمة فيه ، أما المرأة فتبدو جزءاً منه ، قد فقدت استقلال شخصيتها وتشربت روح المنظر المحيط بها ومزجت نفسها به »

وفي هذا الصباح كانت العين ترتد عفواً إلى الفتاة ذات السترة القرنفلية الشاحبة ، إذ كانت أعدل الجميع قداً ، وألينهن غصناً ، ولكنها كانت قد شدت قلنسوتها على جبينها حتى لم يعد يرى شيء من وجهها حين تنحني ، وإن كان من الممكن التنبؤ بلون وجهها بالنظر إلى خصلات شعرها الأسود الرمادي ممتدة من تحت حافة قلنسوتها ، ولعل من أسباب طموح العين إليها أنها لا تحاول اجتذابها ، وأن تلتفت الأخريات حولها من حين إلى حين

وظلت تنحني وتقوم في حركة رتيبة كسير الساعة ، تستخرج من آخر كومة هيئت ملء يمناها من السنابل ، وتضرب قممها براحتها لتسوي رؤوسها ، ثم تنحني ملياً ، وتتقدم ضامة الميدان بكلتا يديها إلى ركبتيها ، وتدفع يسراها ذات القفاز تحت الحزمة لتقابل اليمنى على الجانب الآخر ، معانقة القمح معانقة المحب ، وتجمع أطراف الحزمة وتجلس عليها وهي تربطها ، وتدفع أذيالها إلى أسفل كلما عبث بها النسيم ، وكان جزء من ذراعها يبدو عارياً بين جلد القفاز الخشن وبين كمها ناعماً رقيقاً ، وكلما تقدم النهار ابتسمت عليه الخدوش وبض منه الدم ، وكانت تعتدل قائمة من حين إلى آخر لتستريح وتصلح من ميدعها وقلنسوتها ، وعندها يرى الناظر وجه فتاة مليحة بيضاوياً ذا عينين سوداوين تحف به خصلات من الشعر الأسود سبطة تعلق بكل شيء تقع عليه ، وكان خداها أشد شحوباً ، وشفتاها الحمراوان أرق ، وأسنانها أكثر تناسقاً مما يشاهد في بنات الريف »

سلام على ريفنا اللهم ، وعلى أديب ليستلهم فيصور ، ورحمة لفخري أبي السعود فقد عاش وكتب بدمه ، ومات وهو يعلم أن الدم روح مسفوكة .

حبيب الزحلاوي

إدارة البلديات — الكهرباء

تقبل العطاءات بمجلس المنيا البلدي لغاية ظهر يوم ٨ يناير سنة ١٩٤١ عن توريد عدادات كهربائية وتطلب الشروط من المجلس نظير ١٠٠ مليم .

٧٥٦٦

١ — صاحب السلطان الحقيقي

وهذا صاحب سلطان آخر لم أدر بادئ الرأى ماذا أسميه ، وترددت بين أن ألحقه بصاحب السلطان الثعلبان وأن أسميه صاحب السلطان المهرج أو المشعوذ أو النصاب ، حتى رأيتني أدعوه آخر الأمر على رغمي صاحب السلطان الحقيقي ، ولعلها بعد كرامة من كراماته ! والحق أني لم أر حتى اليوم من أصحاب السلطان من بلغ من الجاه نصف ما بلغه منه ذلك الألعبان الثعلبان

دخل الحجرة في نفر من حاشيته فسلم مسبل العينين خافض الجناح مطأطئ الرأس يكاد يتهدم من الضعف ويبدو كأنما ينوء بعمامته الحمراء الضخمة التي تعلو جبينه العريض ، والتي زاد في حمرتها شدة بياض لحيته وشعر عارضيه وفوديه ؛ وجلس وهو يلم هلاهيله ويضمها بحيث لا تخفى مسبحته العظيمة التي تدور بصفقه وتتدلى إلى منتصف بطنه ، وما برح يتمتم ويحرك شفتيه وهو يخلع نعليه حتى تربع على الكنبة وأسند عصاه إلى جانبه

وأحسست وقد استوى على الأريكة جواً من الهيبة يشيع في المكان كله ، فقد سكت الجلوس سكوتاً لم تتخلله إلا عبارات الترحيب والتحيات تزجى إلى الشيخ من كل ناحية ، وهو لا يرد إلا همساً كأنما يحدث نفسه ؛ وما دخل إنسان من أهل القرية تلك (المنظرة) التي جلس فيها الشيخ ، والتي اتخذها العمدة مكان سهره وموضعاً للفصل بين المتخاصمين ، حتى أقبل على الشيخ فتناول يده من فوق المتكأ فلثمها وردها إلى مكانها في خشوع ورهبة وفي نفسه من النبطة من ثم يد الشيخ ما ينسيه قضيته إن كان صاحب قضية ، أو يذهب كربته إن كان ذا كربة ... وما رأيت قط صاحب قضية جرؤ على الإفضاء بما جاء من أجله في حضرة الشيخ ، فليس من اللائق أن ينشغل المجلس عن الشيخ بقضية من القضايا مهما بلغ من خطرها ، وإن كان الشيخ ليبدو وكأنه في شغل عمن حوله بما هو فيه من تمتمته وإطراقه

وليث الشيخ على تلك الحال إلى أن رأيته ورآه من في الحجرة يهز رأسه هزاً عنيفاً ذات اليمين وذات الشمال ثم يدق كفاً بكف قائلاً في صوت مرتفع وعيناه مغمضتان: «الله! الله لطيف بعباده .. حي يا قيوم اصرف عنا الأذى ... إصرف عنا الأذى يا ألله ! »

ونهض الشيخ فراح يمشي في الحجرة جيئة وذهاباً وفي وجهه عبوس وضجر وخوف وقد فتح عينيه ولكنه لم يرفعهما عن الأرض كما أنه لم يفتر عن هز رأسه تلك الهزة السريعة العجيبة ... ودخل الحجرة فتى يلبس جلباباً أبيض فضفاضاً واسع الردنين والطوق إلى درجة غير مألوفة ، وتبينت أنه من حاشية الشيخ فقد جلس بين أصحابه دون أن يسلم على أحد حتى على أهل المنزل وهذه أمور يتفقها هؤلاء «المجاذيب» وينفردون بها من دون الناس إلا من المجانين

ورأيت الشيخ يلمحه عند دخوله لمحة خاطفة ما أحسب أحداً لاحظها لفرط سرعتها ؛ وبعد أن قطع الشيخ الحجرة في ذهابه ومجيئه بضع مرات عاد إلى مكانه وجلس فأطرق قليلاً ثم هب واقفاً في حركة « بهلوانية » عجيبة كأنما أطلقه لولب خفي وصاح قائلاً : « يا خفي الألطاف » وعاد فجلس والعيون ترمقه في دهشة وحيرة . ودخل الخادم يقدم القهوة فبدأ بالشيخ ولكن الشيخ أشار إليه بيده إشارة عصبية ، ونهض اثنان من دراويشه فصرفا الخادم عنه لأنهما يعلمان من حال شيخهما ما لا يعلمه ذلك الخادم الذي التقت الدهشة في وجهه بالرهبة والاحتشام . ثم إن الشيخ عاد فوثب من موضعه وثبة من لدغته عقرب لدغة أطارت صوابه وصاح في صوت مزعج : « يا لطيف ! يا لطيف ... حوش يارب حوش بحق جاه سيد المرسلين ... ألطف يا لطيف صقت عليك النبي ... سليمة إن شاء الله ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً ... »

ولم يكد يتم كلامه حتى سمع الجالسون صفير الخفراء من أطراف القرية البعيدة ، وحضر العمدة ومعه بعض الرجال ، ثم عادوا بعد حين يعلنون أن الحرائق الثلاث أخمدت سريعاً والحمد لله . ونهض الشيخ يريد الخروج فقد رأى في وجه العمدة ما لا يخفى معناه عليه ، وخرج الناس وراءه وما منهم إلا من يتمسح به ويزحم غيره ليحظى بلثم يديه فإن لم يستطع قنع بلثم ردائه ، وقد ازداد الشيخ عظمة في نفوسهم بما أظهر من كرامة لا تنكر ؛ ولما كانوا عند الباب الخارجي سمع لغط شديد وجلبة تتخللها الأيمان بالله وبالطلاق ، وتبينا أن كلاً من هؤلاء يتمسك بأن ينال شرف مبيت الشيخ عنده ؛ وفصل الشيخ في الأمر بإشارة منه أذعن لها الجميع فقد اختار من بينهم من يضيفه وأنعم عليه بهذا الشرف العظيم .

ودارت الأيام ورأيت الشيخ في مواطن كثيرة ، أرجو أن أسوق إلى قارئي العزيز بعض ما التقطه منظاري منها ليؤمن معي إن لم يكن قد آمن بعد بأن الشيخ هو على رغم الناشئين المنكرين من أمثالي صاحب السلطان الحقيقي .

الخفيف

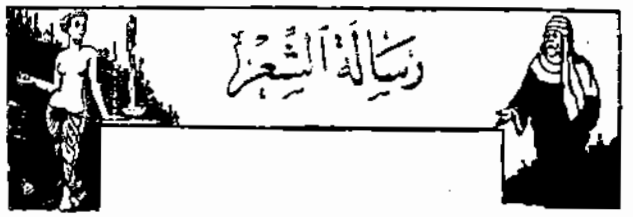

رسالة الشعر

ميعاد ليلة الأحد

للأستاذ صالح جودت

والضُّحَى ، والغدائرِ الذَّهَبِ   والعيونِ الشهباءِ كالشُّهُبِ
وبخديكِ كأسَىْ العنبِ   وبنهديكِ حُلْوَيْ الحبِ
قَسَمٌ صنتُهُ عن الكذبِ

ذكريات اللقاء لم تَنَمِ   يَقِظاتٍ فى مهجتى ودمى
غَرِداتٍ فى نظرتى وفمى   فبحق ، وحقِّ ذا القَسَمِ
هل تُعيدين ليلة الهَرَمِ ؟

ليلة كابتسامة القَــــدَرِ   كنتِ فيها أحلى من القمرِ
جمعتْنا بجانبٍ حَــــذِرِ   من أبى الهول ساخر النظر
ليت لى مثل قلبه الحجَرى !

قد رآنا بطرْفِ مُقلتِـــهِ   ننقش العهــد فوق رَمْلتِهِ
يا لجهــــل الصِّبا وضلَّته   وغرورِ الهوى وغفلتـــه
درس العهدُ منـــذ ليلتِهِ

أين ميعادُ ليــلة الأحَدِ ؟   أين ميثاقنـــا إلى الأبدِ ؟
أتصونينه ؟ بل اقتصدى   وتعالَىْ هنيهـــةً تجِدِى
إننى فى الثرى دفنتُ غَدِي

نصف عامٍ مضى ولم أرَكِ   أىُّ أمرٍ جرى فأخَّرَكِ ؟
أحبيبٌ عَلَىَّ غَــيَّرَكِ ؟   أم طبيبٌ رأى فأخْبَرَكِ
أننى قد وقعتُ فى الشَّرَكِ ؟

على الرفقَ قَلْبكِ القاسى   ذكِّرِى بى فؤادكِ الناسى
ملأ الحب بالضَّنَى كاسي   فارفقى ســاعةً بإحساسى
أنا ما عُدْتُ غيرَ أنفاسِ !

ثورة . . .

بعد عام

[مهداة إلى أخى الأستاذ محمود الخفيف]

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

أَسْبِلْ جُفُونَ العَيْنِ يَا سَاهِرُ   وَخَفِّضْ الثَّوْرَةَ يَا ثَائِرُ
اللَّيْلُ حَوْلَيْكَ بَعِيدُ المَدَى   لاَ أَوَّلٌ يُرْجَى وَلاَ آخِرُ
والنَّجْمُ رَجَّافُ السَّنَا واهِنٌ   يَنْفُخُ فِيهِ العَاصِفُ المَاطِرُ
والكَأْسُ فى كَفَّيْكَ قَدْ أَوْشَكَتْ   تَنْطِقُ : دَعْ جَنْبَيَّ يَا سَاكِرُ
خَوَاطِرٌ زَارَتْكَ مَا تَنْتَهِى   فَزَائِرٌ مِنْ بَعْدِهِ زَائِرُ
أَثَابَكَ اللهُ . . . أَمَا لَحْظَةٌ   يَثُوبُ فِيهَا رَأْسُكَ الحَائِرُ
يَا نَفْسُ قَدْ أَوْهَيْتِ جِسْماً وَهَى   وَهَدَّهُ مِنْهُ وَحْيُكِ الآمِرُ
مَا الخُلْدُ ؟ مَا يُغْرِيكِ ؟ مَا لَفْظَةٌ   جَوْفَاء قَدْ أَرْسَلَهَا سَاخِرُ
فَالنَّجْمُ إِنْ غَابَ عَلَى أُفْقِهِ   لاَ يَحْفِلَنْ بِالغَيْبَةِ النَّاظِرُ
رَفِيقَةَ «الدَّانُوبِ» طَالَ المَدَى   وَنَالَ مِنَّا الزَّمَنُ الجَائِرُ
وَاسْتَأْنَتْ الأَيَّامُ فى سَيْرِهَا   وَعَادَ يَحْبُو الفَلَكُ الدَّائِرُ
وَبَيْنَنَا دُنْيَا عَلَى رَحْبِهَا   يَزْحَمُهَا القَاتِلُ وَالآمِرُ
يَجُولُ فِيهَا السَّابِحُ المُتَّقِى   فى سَبْحِهِ وَالصَّاعِقُ الطَّائِرُ
تَسَاقَطَ الضَّعْفَى بِأَرْجَائِهَا   وَسَارَ فِيهَا الغَالِبُ الظَّافِرُ
لَوْ تَعْلَمِينَ اليَوْمَ مَا سَطَرَتْ   كَفِّى وَمَا فَاضَ بِهِ الخَاطِرُ
لَفَاضَ مِنْ عَيْنَيْكِ ـ أَفْدِيهِمَا   بِالرُّوحِ ـ يَجْرِى دَمْعُكِ الطَّاهِرُ
أَتَذْكُرِينَ اللَّيْلَ إِذْ لَفَّنَا   وَضَمَّنَا زَوْرَقُنَا العَــابِرُ
مُدَلَّلُ الخَطْوَةِ فِي عَــبْرِهِ   يبدُو وَيَخْفَى صَدْرُهُ المَاخِرُ
وَيَنْـــثُرُ الأَمْوَاهَ فِي هَيْنَةٍ   مِنْ حَوْلِهِ مِجْدَافُهُ النَّاثِرُ
وَزُرْقَةُ « الدَّانُوبِ » تَمْضِي بِنَا   وَيَسْتَبِينَا لَوْنُهَـــا الزَّاهِرُ
تَلَصُّ مِنْ عَيْنَيْكِ لَوْنَيْهِمَا   وَأَيْنَ مِنْهَا سِحْرُكِ السَّاحِرُ
وَالكَأْسُ فِي كَفَّيْكِ قَدْ أَشْرَقَتْ   وَضَاء مِنْهَا وَجْهُكِ النَّاضِرُ

تشابه الفكرة عند الأدباء

دعاني الأستاذ محمد الرفاعي إلى الفصل فيما نقل الأستاذ أحمد أمين عن الأستاذ توفيق الحكيم ، وأجيبُ بأن هذه القضية لا تحتاج إلى تحقيق ، فقد رأى في البحوث التي نشرتها الرسالة عن « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » أن هذا الرجل الفاضل لا يهمه أن يرد الحقوق إلى أربابها إلا في موطن واحد ، هو الموطن الذي يقول فيه إنه استأنس بآراء المستشرقين ، ليقال : إنه يطلع على أقوال المستشرقين !

وهنا أذكر الغضبة المضرية ، غضبة الأستاذ الدمرداش ، حين حدثته في بغداد عن تهافت الأستاذ أحمد أمين في مقدمة الجزء الثالث من « ضحى الإسلام » ، فقد حدَّث قراءه بأنه كان ينوى تأليف جزء رابع عن الأندلس ، ثم نهاه أحد المستشرقين فانتهى ، ونصحه فانتصح ، ومعنى ذلك أنه لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحى يصدُر عن أمثال أولئك الناس !

والأستاذ الدمرداش معذور ، لأنه لا يساير حركة الترجمة والتأليف ، ولأنه يؤمن بأن أحمد أمين فوق الشُّبَه والظنون ، وتلك خصلة تستحق الثناء ، لأنها تشهد بأن الأستاذ الدمرداش رجلٌ حكيم ، والرجل الحكيم يرى المشكلات الأدبية من وجع الدماغ !

ولو أن الأستاذ محمد الرفاعي رجع إلى أحد أعداد الرسالة في سنة ١٩٣٤ ، لرأى أن الأستاذ أحمد أمين لم يعب على صاحب « النثر الفني » غير آفة واحدة ، هي النص على ما سرق منه الدكتور طه حسين ، ومعنى هذا أن السرقة لا تعاب ، وإنما هي من الرزق الحلال !

والحق أني أخطأت نحو نفسي في التنبيه على ما سرق مني طه حسين ، وما سرق مني أحمد أمين . فهذان رجلان فاضلان جدًّا ، وفي مقدورهما أن يشهدا صادقَين بأنني الرجل المهذَّب ، إذا تواضعتُ فصرحتُ بأنني المعتدى الآثم على ما لهما من أفكار وآراء

أخطأت ، وأخطأت ، ثم أخطأت ، وإن غضب الأستاذ إسعاف النشاشيبي على هذا التعبير ، فقد أنكر وروده في كتاب « ليلى المريضة في العراق »

وَقُلْتِ و « الدَّانوبُ » في لَغْوِهِ ... مَاذَا يَقُولُ الأَزْرَقُ الهادِرُ
فقُلْتُ وَالقُبْلَةُ في خَاطِرِي ... يقولُ هَيَّا . بادِرُوا : بادِرُوا
وَاقْتَرَبَتْ أَعْطَافُنَا وَاحْتَوَى ... صَدْرَكِ صَدْرِي النَّاحِلُ الضَّامِرُ
وَاتَّحَدَ النَّبْضَانِ في لحظةٍ ... فِدًى لها مَاضٍ وَالحَاضِرُ
لَوْ قُلِبَ الزَّوْرَقُ مِنْ تَحْتِنَا ... لَمْ يَشْعُرَنْ مِنَّا به شاعِرُ
أَوْ لَفَّنَا الزَّاخِرُ في مَوْجِهِ ... لَمْ تَدْرِ مَاذَا فَعَلَ الزاخِرُ
وَأَيْنَنَا المُبْتَلُّ في مائهِ ... وَأَيْنَنَا المرضُوضُ وَالخَائِرُ
يا قلبُ ما الذِّكْرَى لنا ، خَلِّهَا ... لا يَنْتَهِي ما يَذْكُرُ الذَّاكِرُ
يا طَاوِيَ الصَّحْرَاء ، في ظُلْمَةٍ ... ضَلَلْتَهَا ، ما أنتَ وَالآخِرُ
وَسَائِلٍ أَيْنَ أَغَانٍ مَضَتْ ... وَأَيْنَ أَلْحَانُكَ يَا شَاعِرُ
وَمُشْكِرَاتُ القَطَا أَيْنَ انْطَوَتْ ... وَأَيْنَ وَلَّى وَحْيُكَ النَّافِرُ
وَأَيْنَ مِنْ وَجْهِكَ إِشْرَاقَةٌ ... وَضَاءةٌ ، أَيْنَ الصِّبَا البَاكِرُ
مَرَّتْ بِكَ البَسْمَةُ في جَفْوَةٍ ... كما يَمُرُّ العَاجِلُ السَّائِرُ
فقلتُ ما ضَرَّكَ صَمْتُ امرِئٍ ... طَوَاهُ جَدٌّ مُظْلِمٌ عَاثِرُ
الصَّمْتُ أحرَى بِيَ في أُمَّةٍ ... أُمِّيُّهَا كَاتِبُهَا القَادِرُ
يَسُودُهَا العِيُّ وَيَسْمُو بها ... وَلَا يَسُودُ النَّاطِقُ الجَاهِرُ
أَشِرْعَةُ الإِنْصَافِ في الدَّهْرِ أَنْ ... يَسْتَوِيَ المَقْهُورُ وَالقَاهِرُ
وكلُّ ما أَعْجَزَ في فَهْمِهِ ... بها بَيَانٌ سَائِغٌ بَاهِرُ
لله صَوْتٌ رَنَّ في أُفْقِهَا ... أَخْفَتَهُ دَهْرٌ بِهِ غَادِرُ
وَأَنْكَرَتْ دُنْيَايَ سَعْيِي بِهَا ... وَالضوءُ لَا يُنْكِرُهُ النَّاظِرُ
حَتَّى يَكَادَ الصَّبْرُ مِنْ ضِيقِهَا ... يَهْتِفُ لا كَانَ الفَتَى الصَّابِرُ
إِنْ نَالَ قَلْبِي اليَأْسُ في سَاحِهَا ... فَغَفْرَكَ اللَّهُمَّ يَا غَافِرُ
كَأَنَّنِي في يَدِهَا مُصْحَفٌ ... ضَاقَ السَّنَا يَحْمِلُهُ كَافِرُ
شِعْرِي وَأَنْتَ القَلْبُ قَدْ صَاغَهُ ... لَفْظًا بَنَانٌ صَنَعٌ مَاهِرُ
أَنْتَ مَلَاذِي إِنْ أَلَمَّ الأَسَى ... وَسَامِرِي إِنْ أَعْوَزَ السَّامِرُ
كُنْ نَاصِرِي في عَالَمٍ خَادِعٍ ... إِنْ عَزَّ فِيهِ الخِلُّ وَالنَّاصِرُ

ولـكن الشبهة باقية ، شبهة السرقة الأدبية ، السرقة التي يستبيحها أحمد أمين وطه حسين ، وهما رجلان شهد لهما تلمي بالسبق في بعض الميادين

آه ، ثم آه ! !

يراد منا أن نخدم الأدب بأمانة وصدق ، ثم يراد منا في الوقت نفسه أن نكون متجمّلين متلطفين ، فأين من يدلنا على أساليب التجمل والتلطف في الأخذ بنواصي الناهبين لأفكار الكتاب ، وآراء الشعراء ؟

النقد الأدبي محنةٌ عاتية ، فلنحتمل بلاياها صابرين

زكي مبارك

حول كتاب « المنتخبات »

أخي محرر الرسالة الغراء

سلاماً وتحية وبعد فقد قرأت الكلمة الطيبة التي خصّني بهـا الأستاذ الدكتور زكي مبارك في الرسالة عند ما عرض للكلام في كتاب المنتخبات لأستاذنا الكبير أحمد لطفي السيد باشا والله يعلم أني لموقن بأني لم أنتج شيئاً له من القيمة ما يستحق ذلك الثناء . ولكن الدكتور أبى إلاّ أن يكون أسبق بالفضل .

أما مأخذه على كلمة « أهل » بمعنى : Generation والتي يستعمل الكتاب كلمة « جيل » لتقابلها فأظن أني على حق في استعمالها في هذا المعنى . فإن « الجيل » في العربية هو : الصِّنف من الناس ؟ فالمصريون جيل والإنجليز جيل والفرنسيون جيل ؛ أما الأهل فيقصد به الطبقة الواحدة المتعاصرة من الناس . وشاهدنا على ذلك شعر للنابغة الجعدي قال :

لَبِسْتُ أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناسٍ أناسا
ثلاثة أهلين أفنيتُهُمْ وكان الإله هو المُسْتآسا

(أنظر الأغاني ص ٦ ج ٥ طبعة دار الكتب)

وأنشد (أي النابغة الجعدي) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيهـا : ثلاثة أهلين أفنيتهم ؛ فقال له عمر : كم لَبِثْتَ مع كل أهلٍ : قال سِتِّين سنة

(أنظر الأغاني ص ٧ ج ٥)

فالأهل إذن هو المعنى الحرفي لكلمة : Generation ؛ وكفى بما نقلت شاهداً — ومن العجيب أن هذا المعنى لم يثبت لكلمة « أهل » في القاموس واللسان ، فعسى أن يُلتفت إليه في المعجم الوسيط الذي يضعه المجمع اللغوي .

اسماعيل مظهر

موسى

رداً على كلمة الأستاذ محمود أبو السعود بالعدد ٣٨٨ من مجلة الرسالة الغراء أقول إني مصر على أن كلمة « موسى » ليست مصرية ، وذلك بعد أن بحثت عنها بحثاً هيرغليفياً دقيقاً ، وإنها ليست بمعنى عبد كما قال فرويد وغيره ولكني لم أتعرض لأصلها وكانت كل كتابتي أن أبين حقيقتها من الناحية المصرية فقط

وكل ما كتبه حضرات الكتاب الأفاضل عن أنها مشتقة من كلمة « موشا » القبطية التي صحتها موشي « مو » بمعنى « ماء » وشي بمعنى « شجر » على اعتبار أن اللغة القبطية هي الدور الأخير للغة المصرية القديمة ، وأولت على أنه وجد بين الماء والشجر فهذا كله من الحدس والتخمين لا أكثر ولا أقل

وأنا أميل إلى أن هـذا الاسم عبري لعدم ورود ما يشابهه علينا أثناء دراستنا المصرية القديمة

وهو مشتق من كلمة « موشي تيو » العبرية أي الذي وجد سابحاً على وجه ماء النيل وانتشلته بانها ابنة فرعون . وتقول القاعدة الرسمية للاسرائيليين أن « موسى » ولد بالجيزة قرب منطقة الأهرام ٣٣٣٣

ومن كل ما ذكر لا نشك قط في أن موسى كان عبرياً اسماً وأصلاً

محمد صابر
إخصائي في الآثار المصرية القديمة

التماثيل الملوك

حضرة الأستاذ محمد كامل حتة ...

قرأت تصويبكم وتعليقكم على أبيات اللورد دنساني وأحسب الشبه قريباً جداً بين موقف البحتري أمام تماثيل ملوك الفرس ، وبين موقف اللورد أمام التماثيل المصرية . وقد قال البحتري :

يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهمو يداي بلمس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس

فتحدث عن التماثيل بضمير العاقل وعناها هي لا الذين تمثلهم. وأحسب اللورد دنساني حين خاطب التماثيل وأثبت جوابها إنما عناها هي فهي التي شاهدت تطور الزمن ؛ وهي هي عنده الملوك

الأربعة فهى التماثيل الملوك لا تماثيل الملوك . وعندئذ لا أحسب من التصويب أن يقال إنها أربعة تماثيل لملك واحد . بل أحسب أن رمسيس إنما عنى بإقامة أربعة تماثيل أن يجعل منها أربعة ملوك، والمجال فى الفن كله من إقامة التماثيل أو من مناجاتها مجال خيال

وللتحقيق التاريخى قيمته على كل حال ، ولـكن التصويب إنما يكون فى موضع الخطأ ، ولا خطأ فى قول يقول :

وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطى ...

ولا فى قول من يقول : فتخيلت ما أجابنى به الملوك الثلاثة لأن رابعهم كان قد كسر عند منتصفه فانشطر إلى شطرين ، ولم ينكسر ملك وإنما انكسر تمثال ...

ولـكم خالص الشكر ... عبد اللطيف النشار

تأنيث الشمس وتذكير القمر !

يستنكر الأستاذ العقاد على العرب أن يذكّروا القمر « وهو مقرون بالحنين والحياء ، موصوف بالانباع والاقتفاء ، قليل فيه ساطى الضياء ، وساطع الضياء ، عارض له من المحاق ما يعرض للنساء» ، ويؤنثوا الشمس وهى مصدر الحياة والحيوية ؛ وذلك على عكس أكثر اللغات . ثم تساءل : « أهى زلة من زلات البداهة عند الشرقيين ، أم هم المستضعفون للأنوثة لا يفطنون لهذا المعنى الذى فطن له الغربيون ؟ أم هو إمعان فى البداهة أدركوا به من سطوة المرأة ما لم يدركه مذكرو الشمس ومؤنثو القمر ، وأقاموا به ما عكسه أولئك الخاطئون ؟ »

والحقيقة أنها ليست زلة من زلات البداهة عند الشرقيين أو الغربيين ، وليست إمعاناً فى البداهة من أى الفريقين ، ولـكنها اختلاف نظر وملاحظة

فالغربيون لاحظوا فى التأنيث الرقة والوداعة ، والاستسلام والليونة فكان « القمر » مؤنثاً ، ولاحظوا فى التذكير القوة والفتوة ، والقسوة والغلظة فكانت « الشمس » مذكرة عندهم .

أما الشرقيون فلاحظوا في الأنوثة الخصب ، والإنتاج ، والإخراج والولادة فكانت « الشمس » مؤنثة . والشمس هى التى ترسل بأذرعتها إلى معانقة الأكمام فتتفتح ، وتبعث بها إلى الثمار فتنضج ، وتبخر المياه فى البحار ، وتحرك السحاب فى السماء فهى منتجة أى إنتاج ، مخصبة أعظم إخصاب . ولاحظوا فى الذكورة العقم ، وعدم الإنتاج والإخراج، فكان « القمر» مذكراً والقمر لا أشعته تذيب جلمداً ، ولا تهيج ساكناً

ومنشأ ذلك ـ كما يقول المازنى ، عافاه الله ـ « لأن آباءنا الأولين كانوا يقيسون حياة الطبيعة على حياتهم ، ويتصورونها قائمة على ما تقوم عليه حياتهم من التناسل وغيره . ومن هنا أنثوا الشمس فى لغتنا والريح وغيرها » من أرض ونخلة وروضة .

فالريح — مثلاً — أنثت دون الهواء ، لما بينهما من فرق فى الخصب والإنتاج ؛ فالهواء الهادئ لا يحمل الديم ، ولا ينقل اللقاح، وعلى العكس من ذلك « الريح » فهى تفعل ذلك وأكثر منه

(الزقازيق) السعيد جمعة

أسرة الشعر بدار العلوم العليا

كون لفيف من أساتذة الأدب العربى بدار العلوم العليا أسرة للشعر تنتظم الطائفة الشعراء بالدار ، وقد أسندت رياستها للشاعر الـكبير صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك . وعقد الاجتماع الأول بمكتب الرئيس لرسم الخطوات البدائية للاحتفال بموسم الشعر بدار العلوم . وقد اختير « أحمد عبد المجيد الغزالى » للقيام بأعمال سكرتارية الأسرة

وفيما يلى أسماء الأعضاء من مختلف سنى الدراسة :

توفيق محمد جبر ، عبد الحليم داود ، عبد الرءوف عون ، عبد الستار فراج ، عباس الهاوى ، محمود شافع ، تمام حسان عمر ، عبد الرحمن أيوب ، أحمد شلبى ، عبد العزيز المندورى ، عبد العظيم دسوقى ، سيد أحمد باشا ، مصطفى زيد

لا زكام بعد الآن !
أحدث الاكتشافات العلمية فى صحة الفم !
اليود فى عجينة للأسنان :
يودكاليكلور
أطلب النشرة العلمية الخاصة من :
جلاكسو ورمان صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر
(س . ت ٥٢٢٧)

عبء السلطة

للروائى اليوغسلافى ميلان بوجلج

ولد « ميلان بوجلج » سنة ١٨٨٣ فى مدينة سنيريا على الحدود بين سويسرا وبين الجانب الجنوبى الغربى من النمسا ، وكان أبوه مدرساً فى قرية . وبدأ « ميلان » ينظم الشعر وهو طالب . ثم اشتهرت كتاباته النثرية حتى أصبح من كتاب لغته المعدودين . وهو من أنصار المذهب الواقعى وفيه فكاهة قوية ، وله مجموعات قصصية كثيرة . وقد تولى إدارة المسرح الملكى فى يوغسلافيا فى وقت ما .

كان كاتب العمدة جالساً إلى مكتبه وهو شاب طويل القامة نحيل ، وكان على أذنه قلم وفى يده قلم آخر يكتب به فى سكون على ورقة أميرية

وكان يجلس فى ركن الحجرة رجل من السوقة تبدو عليه علائم التشرد والشر وهو غريب عن القرية ، وكان قد دخلها بغير مبرر ظاهر منكراً اسمه ومسقط رأسه

دخل العمدة وظل واقفاً عند الباب حتى تنبه الكاتب إلى وجوده فجأة ، فاقترب العمدة من المكتب ونظر إلى الورقة وقال وبداه فى جيبه : ما الذى تكتبه فى هذا الصباح ؟

قال الكاتب : لقد استدعيت هذا المتشرد وأجلسته بجانب الموقد وبدأت أكتب تقريراً عن صفاته الجثمانية لأرسله إلى المركز

ثم لمس الكاتب جبينه واستأنف الكتابة ، ومشى العمدة نحو المتشرد البائس فتأمل ثيابه الخلقة وقدميه الحافيتين وعينيه الرماديتين الدامعتى الاختلاج وصاح به : « ما الذى جاء بك إلى هنا أيها المتشرد ؟ هل سقطت علينا من السماء ؟ قل الحق من أين جئت وإلى أين تريد الذهاب ؟ »

فهز الرجل كتفيه وقال : « لا أعرف ! لا أعرف »

واستمر العمدة يسأل واستمر المتشرد يجيبه نفس الجواب

ولما كاد صبر العمدة أن ينفد طرق الباب طارق ، ودخل طحان القرية وهو قصير هزيل ورفع قبعته فى احترام وتنحنح قليلاً ، ثم قال : « على شاطىء النهر بقرب الطاحون وجدت غريقين أظنهما انتحرا ... إن شكلهما غريب وقد وجدت كلا منهما مستلقياً على ظهره فوق الحشائش ، ويد كل منهما فى يد الآخر — يده اليمنى مشتبكة فى يدها اليسرى . إننى لم أشهد بتير الحق » .

بدت علائم الدهشة على العمدة ومد ذراعيه ونظر إلى كاتبه الذى نهض سريعاً ، ورفع القلم الذى فى أذنه واستمد لكتابة ما شهد به الطحان

وهنا صاح المتشرد بشكل يدل على الاهتمام : « هل هما ميتان ؟ » فضرب الطحان بيديه على ركبتيه وهو يضحك : « نعم هما ميتان بالطبع »

وأمر العمدة المتشرد بلزوم مكانه ولزوم الصمت ، وقال الطحان للعمدة : « لقد جئت لأخبرك لكى تأمر بنقل الجثتين من مزرعتى »

فقال العمدة وهو يلمس بأصابع يديه جانبى رأسه : « حسن ! حسن ! إذهب وسأتبعك لأعاين الجثتين »

ومشى الطحان وظل يعبث بأظافره فى شعر رأسه ثم التفت إلى المتشرد وقال : « أنظر أيها الوغد الذى لا يصلح لشىء . هذه هى أعمال أصحابك المتشردين ، إنهم يذهبون مع الشيطان فى كل طريق ونحن الذين لا ذنب لنا نعانى نتائج شروركم »

ثم التفت إلى الكاتب وقال : « ما الذى نفعل ؟ عندنا الآن متشرد حى ومتشردان ميتان ، فما الذى نفعله بهم ؟ لعنة الله على هؤلاء المتشردين »

فهز الكاتب رأسه وقال : « إن حياتهم معصية لله وخزى للناس ، وهم حتى بعد الموت يضايقون خلق الله »

قال العمدة : « ولكن علينا عملا نعمله قبل كل شىء » .

فقال الكاتب : « نعم يجب علينا أن نبلغ السلطات ثم ندفن الميتين على نفقة البلدية »

قال العمدة بلهجة التوكيد مناقضاً كاتبه ومستشاره : « كلا فإن أموال القرية لا تنفق على هؤلاء المتشردين الأفاقين . يجب أن نعرف من أين أتوا ، ثم ... ثم ... »

فقال الكاتب وهو أكثر تجربة من العمدة : « إن هذا لا يصلح، وإن النهر يحمل الجثث من أماكن بعيدة، وأنا أتذكر أنه حمل إلينا مرة جثة من مدينة تبعد أربعة عشر ميلاً ، وقد بقيت تلك الجثة أربعة أيام قبل الدفن ، فكتبنا إلى جهات متعددة ، فلم نهتد إلا بعد ثلاثة أعوام إلى المكان الذى غرقت فيه »

قال العمدة : « إذن فلماذا نكتب إلى السلطات ؟ ... ثلاثة أعوام ! » فقال الكاتب : « نحن فى هذه الأيام مضطرون إلى إبلاغ السلطات ولو كان القتيل مرة »

قال العمدة : إذن فاكتب إلى السلطات فى الحال . فقال الكاتب وهو يحاول صياغة جملته فى الصيغة الرسمية : ولكن يا حضرة العمدة أنا الآن مشغول جداً بكتابة التقرير عن هذا المتشرد وذهنى مركز فى هذه القضية فقط ولا أستطيع تركها للاشتغال بقضية أخرى ... اسمع يا حضرة العمدة ... ثم رفع عن المكتب ورقة وأخذ يقرأ :

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

بالنظر إلى مرور أحد المتشردين فى زمام هذه القرية ، وبالنظر إلى أن هذا المتشرد ينكر اسمه واسم بلده فقد حررنا هذا التقرير بتشبيهه :

« متشرد غير معلوم موطنه ، مجهول الاسم ، حافى القدمين ، نحيل ، أصبع قدمه الكبرى معوجة ، فى ذقنه شعر قليل مثل شعر الثعلب ، أنفه محدودب رفيع مائل قليلاً إلى الجانب الأيسر وعند ما يتكلم تهتز لحيته مثل الأرنب ، ومشيته كمشية الثور . أى أن خطوته قصيرة ، وركبته بطيئة الحركة ، وإذا شده إنسان من أذنه اليمنى تهدلت شفته السفلى وأغمض عينه اليسرى »

وكف الكاتب عن القراءة وبدا عليه الزهو وشعور الثقة بالنفس وقال : « من المحال أن أقف عند هذا الحد من التقرير ، فإن أفكارى مركزة وقد حرصت على الدقة »

ظن العمدة أنه قد فهم وقال : « هذا حسن فاقتصر أنت على نظر قضية المتشرد وسأنظر القضية الجديدة . هات ورقاً وقلماً جديداً وسأفكر وأكتب تقريراً للمركز »

وبعد دقيقة كان العمدة يبدأ فى كتابة الخطاب . وبعد ساعة فرغ منه

استدعى العمدة كاتبه القدير وقال : « اسمع وقل لى رأيك ؟

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

إن النهر ألقى على زمام القرية غريقين وجدا عند الطاحون ... وجاء الطحان وقال لى : يا عمدة أبعدهما عن أرضى ... فأنا العمدة أرجو من عزتكم إخبارى بما أفعل ... إن الناس يشيرون بدفنهما ، ومن رأيى ذلك ، فأرجو صدور التعليمات اللازمة »

هز الكاتب رأسه وقال : « من المستحيل إرسال هذا الخطاب فإن لهجته غير رسمية »

قال العمدة فى نفسه : « غير رسمية ؟ وماذا يكون الخطاب الرسمى إذن ؟ »

تناول الكاتب الخطاب وقال : إن فى المركز موظفين محترمين ولن يعجبهم خط هذا الخطاب

قال العمدة : ولماذا لا تكتبه أنت ؟ أليس وجودك هنا من أجل هذا الغرض ؟

فقال الكاتب : نعم ، عفواً يا حضرة العمدة ، الأفضل ترك هذا التقرير مؤقتاً

ثم قام الكاتب فجلس أمام العمدة ووضع فى القلم سنًّا جديداً وبدأ يكتب . ووقف العمدة فى وسط الغرفة يتأمل فى خط كاتبه والمتشرد متبلد فى مكانه يراقب هذين الموظفين ، وكان وجه الكاتب غضباً بالاحمرار لزهوه وتحمسه وثقته بأهمية نفسه

وانتهى من كتابة الخطاب فوقف وأخذ يتلو خطابه مرتلاً كما لو كان يقرأ قصيدة من الشعر ، وكان العمدة يصغى وهو معجب بهذا الأثر الرسمى البديع ، ثم قال وهو يعبث بأظافره فى شعر رأسه : يجب أن تذهب الآن إلى الطحان

وأدخلا المتشرد فى سجن « الدوار » وذهبا فقادهما الطحان إلى مكان الغريقين عند حافة الماء ، فلم يريا على وجهى الجثتين ما يدل على أثر جريمة ، بل كانا يظهران كما يظهر وجها نائمين يحلمان ببعض أحلام الحب ، وبدأ الكاتب يهز رأسه الضيق الجبين وقال : يظهر لى أنها جريمته هو

فقال العمدة : بل هى جريمة الشيطان

وقال الطحان : اسمح لى يا حضرة العمدة أن أقول إنه لا يمكن أن نعرف جريمة من هذه

وانتهت الحادثة والتحقيق عند هذا الحد ، وعاد العمدة

والكاتب إلى القرية ، وقال الأول : ألا يستطيع الإنسان أن ينعم بيوم راحة ؟ عندنا الآن متشرد حى ومتشردان ميتان ، فكيف ننتهى من أمرهم ؟

فقال الكاتب : لقد كانت الأمور كلها تسير سيراً حسناً لولا اضطرارنا إلى مخابرة السلطات ، فإن الصعوبة كلها ناشئة من تحرير المكاتبات

وأعقب هاتين الملاحظتين مسير نصف ميل فى صمت . ثم ضحك العمدة فجأة ضحكة عالية وقال وقد بدا له أنه سيدهش الكاتب بفكرة موفقة : لقد عرفت الحل فلا تكتب شيئاً إلى السلطات

كاد الكاتب أن يغمى عليه ، واستمر العمدة يضحك وكانت ضحكاته تزداد ارتفاعاً وقال : « لقد عرفت الحل وسأختصر الطريق ؛ لكن عليك أن تسكت ، وأن تخبر الطحان بلزوم الصمت » .

وفى المساء ذهب العمدة إلى المتشرد وقال : « أخبرنى ... ألم تعمل فى حياتك أى عمل نافع ؟ »

فحملق المجرم فى وجهه ولم يجب

قال العمدة : « ألا تعرف الطريق إلى الطاحون ؟ إنها بجانب النهر » فقال المتشرد : « نعم قد عرفتها »

قال العمدة : « بجانب الطاحون عند المزرعة ستجد جثتى رجل وامرأة . هل سمعت ؟ اذهب وألق الجثتين فى النهر حتى يحملهما الماء . هل سمعت ؟ »

هز المتشرد رأسه علامة على الموافقة وافترقا ، وبعد قليل كانت جثتا العاشقين طافيتين على الماء

وفى الصباح التالى كان الكاتب ماراً بجوار الطاحون وكان وراءه على مسافة قريبة حفار القرية يجر عربته الصغيرة وكان عليها إذ ذاك غطاء أسود، فلما وصلا إلى شاطئ النهر نظر الكاتب إلى الماء فلم ير فيه أثراً لميت أو لحى ، وقال الكاتب : « بالأمس وصل بلاغ إلى (الدوار) بأن غريقين وجدا هنا على الشاطئ »

وقال الحفار : « هكذا سمعت ولكن يظهر أن البلاغ كاذب »

فقال الكاتب : لعله « كذلك »

وقال الحفار : « ربما عاد الماء فحملهما كما أتى بهما »

فهز الكاتب رأسه وقال : « ربما كان ذلك »

ثم مشى كل منهما فى طريقه (ع . ١)

الافصاح

المعجم العربى الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، رتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية فى العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النقاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى — المدرس بمدرسة الخديوى إسماعيل الثانوية

عبد الفتاح الصعيدى — رئيس التحرير بمجمع اللغة الملكى

محاسن الاسلام

لمحمد بن عبد الرحمن البخارى

أحسن كتاب فى حكمة التشريع الاسلامى من مؤلفات الأقدمين . ذكر فيه محاسن العبادات والمعاملات وغيرها على وجه يملأ القلب نوراً وبصيرة بأحكام الشريعة الجليلة .

الثمن ١٠ قروش صاغ ويطلب من

مكتبة عبد الرحمن مراد

بشارع جوهر القائد — السكة الجديدة سابقاً

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)